

الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية

1902

الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية (١٩٠٢)
محمد العساني الأندلسي/ مؤلف، [حققها وقدم لها: د. عبد الرحيم مودن]
الطبعة الأولى، ٢٠٠٣

دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي ، ص. ب : ٤٤٤٨٠
الإمارات العربيّة المتّحدة ،
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
التنفيذ والإشراف الفنّي :
سعد سيف ®
الخطوط وتصميم الغلاف :
منير الشعراني / مصر
الصفّ الضوئي :
القرية الإلكترونيّة / أبو ظبي + مطبعة الجامعة الأردنيّة / عمّان
التنفيذ الطباعيّ :
سيكو للطباعة والنشر / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-097-9

"...ويخترق بهذه المدينة النهر الكبير المشهور "بالتمس" تسافر فيه السفن الكبيرة وعليه عدة جسور بعضها من بناء وبعضها من الخشب ومنها قنطرة الحديد التي لا أعمدة لها، بل أحد طرفيها على ضفتي النهر ووسطها معلق بقضبان من حديد وسلاسل ممتدة إلى الضفتين يرفع وسطها بتلك السلاسل عند إرادة فتحها ثم تسد بأسرع حركة ومناولة كما تفتح كذلك وهي من أعجب ما يرى.. وقد خرقوا تحت بعض جهات هذا النهر طريقا يمر فيها بابور البر تحت الماء وفوقه تمر المراكب البحرية وفوق الوادي قنطرة تمر عليها العربيات والناس والدواب..(...) وأكثر طرقها في عرض العشرين ذراعا بعضها مرصف بقطع من الخشب في شكل الحجارة وذلك لقلة الدوي وفقدان فرقعة العربيات."

من نص الرحلة ص...........

"...وأما العربيات التي في هاته البلدة فحدث ولا حرج ومن ضوابط استخدامها أنهم يجعلون على كل واحدة منها نمرة مركبة من واحد وهلم جرا. وقد رأيت مرسوما على واحدة منها نمرة تزيد على الستين ألف عجلة واسم صاحبها، ونمرة عجلته مرسومة في قطعة من نحاس معلقة على صدره، ولذلك فوائد ونتائج... وفي كل حومة من البلد موضوعة آلة عجيبة تجر بالخيل كالعجلة معدة عندهم لإطفاء النار بسرعة متى شب الحريق في محل.."

من نص الرحلة ص...........

"...ولاتخلو هاته البلدة غالب الأحيان صيفا فأحرى فصل الشتاء من كثرة الغيم والضباب وكاد المطر لا يفارقها وقد يشتد الحر في بعض الأوقات ولكنه لا يتجاوز اليوم الواحد إلا ويعقبه سحاب ومطر وبرد فسبحان القادر على ما يشاء."

من نص الرحلة ص...........

استهلال

تهدفُ هذه السِّلسلةُ بَعْثَ واحدٍ من أعرقِ ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيَّاتِ أدبِ الرِّحلةِ، إلى جانب الكشف عن نصوصٍ مجهولةٍ لكتاب ورحَّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميَّاتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه، قريبةً وبعيدةً، لاسيما في القَرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنَّاس في الغرب، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشَّرقِ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً، خصوصاً في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم، ومن منطلق المستأثر بالأشياء، والمتهيء لترويج صور عن "شرق ألف ليلة وليلة" تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم، وتُمهِّدُ الرأي العام، تالياً، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق. ولعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك. فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري.

على أن الظَّاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في

مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال نحو الآخر، بحثاً واستكشافاً، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته، ونمط عيشه وأوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناسِ، ولينبعث في المجتمعات العربية، وللمرة الأولى، صراع فكري حاد تُسْتَقْطَبُ إليه القوى الحيَّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمِّسٍ لأفكاره وصياغاته، وبين معادٍ للغرب، رافض له، ومستعدّ لمقاتلته .

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عَبْرَ رسم صورِ دنيا لهم، بواسطة مخيِّلةٍ جائعةٍ إلى السِّحري والأيروسيِّ والعجائبيِّ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتَّضِحُ من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساساً، على تتبع ملامح النهضة العلميَّة والصناعيَّة، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق. لقد انصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالباً، بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، وإنما، أساساً، من بابِ طَلَبِ العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشَّلل الحضاريِّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نجُد أحد المصادر الأساسية المؤسِّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته، وهي نظرة المتطلِّع إلى المدنيَّة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسِّر على ماضيه التليد، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكَّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرَّحالة، والانتباهات التي ميَّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكِّل ثروةً معرفيَّةً كبيرةً، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلِّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكَّرُ بها.

أخيراً، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسة التي قد تبلغُ المائة كتابٍ من شأنها أن تؤسس، وللمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريَّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاقِ، واستعداده للمغامرة من بابِ نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمُتعةِ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربعِ جهات الأرض وفي قارّاته الخمس، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء، وغيرهم من الرَّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية.

محمد أحمد السويدي

المقدمة

انتمت أسرة "الغسال" التي يتحدّر منها الحسن بن محمد الغسّال إلى السلطة المخزنية[1]، أي إلى أعلى مراحل السلطة السياسية أثناء القرن 19 وبداية القرن 20. واستطاع "الغسال" في هذا القرن الأخير ممارسة نشاط ديبلوماسي واسع، منذ أيام السلطان "مولاي عبد العزيز" إلى عشرينيات القرن (الماضي) الأسبق، أي القرن العشرين.

وتميزت هذه الممارسة الغنية بتموقعها في خضم تصاعد مراحل التكالب الأروبي، على المغرب، من خلال مظاهر عديدة شملت التحرشات العسكرية والاقتطاعات المتواصلة لمناطق عديدة من شواطئه وأراضيه، مرورا باتفاقيات جائرة ومعاهدات ظالمة غلِّفت بأساليب متعددة تُوهِمُ بالإصلاح أحيانا، والحداثة أحيانا أخرى، في سياق التمهيد للاحتلال الاستعماري المباشر.

والمتأمل في هذه المرحلة، يلمس اللهاث المتواصل لأهم القوى الأوروبية (فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، بريطانيا..) من جهة، وحرص المغرب - من جهة ثانية - على خلق نوع من التوازن العادل في علاقته مع هذه الدول بعد أن عانى، وهو في وضعية لا يحسد عليها، من هزيمتين كبيرتين زلزلا

(1) المخزن مصطلح للدلالة على السلطة الحاكمة.و لكلمة (مخزن) دلالات عديدة تتعلق بالخزن والتخزين بأبعاده المختلفة مثل الخزْن والتحكُّم في الثروات دون نسيان الجانب الاصطلاحي المتعلق بالسّلطة. وهي "كلمة تراثية قديمة عند المغاربة من القرن 5 على يد الدولة حيث أنها المسؤولة عن ادخار المال.. "والأقوات ونحوها.". محمد الفاسي: الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية. م. م. ص، 14.

كيانه وهما: هزيمة "إيسْلي" شرقا 1844، وهزيمة "تِطوان" شمالا 1860. وما بينهما انهيار متواصل لبناء الدولة سياسيا وعسكريا واجتماعيا وثقافياً.

ولعل هذا ما يبرر تأرجح الدولة المغربية بين ثنائيات عديدة: الانغلاق والانفتاح[2]، التقدم والحداثة، البر والبحر، الحرب والسلم . . .

في سياق هذه الأوضاع، مارس "الغسال" نشاطه السياسي، أو الديبلوماسي، مُوفَداً، من قبل السلطة المخزنية أحيانا، أو مرافقا لسفرائها أحيانا أخرى. ويكمن

إجمال أهم المحطات البارزة في حياة "الغسال"[3]، ديبلوماسيا، على الشكل التالي:

أ- حضوره مؤتمر المندوبين بالدار البيضاء بُغية إيجاد حل للمطالب الأوروبية المتصاعدة.

ب- تمثيله للسلطة المخزنية- وهذا هو موضوع المخطوط- في احتفالات تنصيب أو تتويج" إدوارد السابع" ملك "إنجلترا" سنة 1320/ 1902م.

ج- سيرافق "الغسال" - من جديد - السفير "الحاج عبد الرحمان بن عبد الصادق، بعد مرور عام على السفارة السابقة، متوجها نحو جبل طارق "لملاقاة العاهل البريطاني إدوارد السابع أثناء زيارته لهذه المستعمرة البريطانية الإستراتيجية.

د- وسيعين ضمن وفد طنجي اختارهم السلطان "مولاي عبد العزيز" في مجلس الأعيان لمحاورة السفير الفرنسي وبرنامجه المقترح لإنجاز "إصلاحات تحديثية معينة لأهداف واضحة"[4].

---

(2) عبد السلام حيمر: المغرب، الإسلام والحداثة 1 الكاتب المخزني. م.سندي، مكناس 1997، ص.54.

(3) الحسن الغسال 1238/ 1358هـ/ 1866-1939م. وبعد حياة سياسية حافلة استعفي لظروف صحية في هذه المرحلة بعد أن كان محل تقدير من السلطة والناس والأجانب أيضا.

(4) لم تكن مقترحات الأجانب بإدخال الإصلاحات الحداثية بريئة، بل كانت مغلفة بطابع استعماري مما خلق إشكالا مركزيا لدى المتلقين المغاربة ارتبط عند الكثيرين- خاصة الاتجاه المحافظ - بالاستعمار أحيانا، و الكفر أحيانا أخرى.

هـ- وفي عهد "مولاي عبد الحفيظ" الذي بويع بعد "مولاي عبد العزيز" سيعين في لجنة التعويضات سنة 1907 كاتبا بعد انتفاضة الدار البيضاء الشهيرة[5] (1906).

و- ظلت الممارسة السياسية عند "الغسال" محور انشغالاته بالرغم من ممارسته للعديد من المناصب الإدارية. ومن ثم، ارتبط "الغسال" بأحداث مركزية أسهم فيها، بشكل أو بآخر، من خلال تمثيله للسلطة المخزنية عبر الوفود أو اللجان المختصة. ونذكر على سبيل المثال:

أ- لجنة دراسة قضايا الحدود المغربية الجزائرية.

ب- لجنة الاطلاع على ديون الأجانب "دار النيابة"[6].

ج- لجنة المنازعات بين السكان المغاربة والمعمرين الأجانب.

وبالإضافة إلى هذا وذاك، كان "الغسال" من المستقبلين لرئيس جمهورية "فرنسا" أثناء زيارته للدار البيضاء والرباط، فضلا عن رحلاته المتعددة في الداخل والخارج، خاصة رحلتيه الشهيرتين المجسدتين في نصيه: أولهما و هو موضوع المخطوط المتعلق بسفره إلى "لندن" وثانيهما هو الذي اتجه فيه إلى "جبل طارق".

كان ميلاد "الغسال" بـ(طنجة) ـ شمال المغرب ـ جسدا وفكرا وشهرة، وكان موته بـ (مراكش) جنوب المغرب، التي كان يحج إليها بين الفينة والأخرى. ولعل رحلته المعنونة بـ "الرحلة المراكشية أو التعريف بالحضرة المراكشية ولمن وقفت عليه من الأولياء والعلماء الأجلة" (1318/ 1900م) تعكس ارتباطه بهذه الحاضرة وأهلها الذين جمعتهم به صداقات روحية وفكرية عديدة.

وتعد المرحلة التي وجد فيها (الغسال) -القرن 19-[7] مرحلة حاسمة مما

(5) انتفاضة الدار البيضاء ضد المحتل الفرنسي (1906 . 1907).

(6) دار النيابة: مؤسسة مخزنية وجدت بشمال المغرب.

(7) لـ (الغسال) ما يزيد على الخمسين (50) مؤلفاً أو رسالة. وفي باب الرحلة نجد للمؤلف أربع رحلات زيارية (زيارة الأولياء) ورحلتين سفاريتين ورحلة حجازية (حجية) حققها عبد العزيز التمسماني خلوق. انظر الملحق.

دفع بالسلطة السياسية إلى تحفيز سفرائها و"كتاب بعثاتهم إلى أوربا بتسجيل ما يرونه مفيدا - أثناء رحلتهم - من نظم المجتمعات الأوروبية في زمن أصبحت فيه دول هذه المجتمعات تحاصر المغرب مهددة استقلاله وأمنه"[8].

وصف المخطوط: يحمل النص عنوانا صريحا دالا على موضوعه المركزي المجسد في تقديم المستحدثات لمتلق مركزي، أيضا، مجسدا في السلطة المخزنية، ثم تأتي عينة أخرى من المتلقين مجسدة في النخبة المؤثرة في المسار العام للدولة من فقهاء وكتاب دواوين وعلماء وأدباء ورجال السلطة وما تبقى من مبعوثين سابقين إلى الدول الأوربية[9].

و روعي في صياغة عنوان المخطوط إخضاعه لمرجع لغوي وبلاغي سائد في نمط الكتابة آنذاك[10]. ومن ثم فهو -تبعا للتقاليد السائدة- يجمع بين التقريظ الشائع للمتن بالصفات والنعوت المميَّزة، وبين تقريظ المرتحل إليه عبر قناة المرسل الذي يكون عادة -كما هو الشأن في الرحلات الديبلوماسية- مجسدا في السلطة المركزية[11].

عنوان المخطوط، إذن، هو: (الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية)[12] والتتويج، في هذا سياق، لا يخص الحدث الفعلي الذي ارتحل من أجله الرحالة إلى "إنجلترا" فقط بل إن هذا التتويج تقريظ مسبق

---

(8) وهذا ما برز جليا في تنافس الدول الأوروبية - خاصة فرنسا وإسبانيا - حول المغرب في الفترة المشار إليها أعلاه.

(9) ويوجد هذا المخطوط ضمن نصوص مخطوطة أخرى ضمها مجلد واحد ضخم بالخزانة العامة بالرباط.قسم الوثائق، الرباط، تحت رقم، خ، ع، د1496/ 3.(34 ورقة).

(10) استخدام صفات التقريظ ونعوت التمجيد، فضلا عن السجع والترصيع مثل التحفة، وغيرها من التسميات البلاغية (تحفة النُّظّار)
لـ "ابن بطوطة" على سبيل المثال. وهو عنوان تقريظي سجعي للدلالة على القيمة الرمزية للمؤلف.

(11) تنطلق الرحلات السفارية، عادة، من أوامر مخزنية تصدرها السلطة المركزية، في سياق العلاقات الدولية، إلى الوفد المتجه نحو أوروبا. ولا تقتصر السلطة على دور المرسل بل إنها تُعَدُّ المتلقي الأول لهذه الرحلة قبل المتلقي العادي.

(12) والأصل هو: الرحلة التَّتويجية إلى الديار الإنجليزية. 1320هـ/ 1902م.

لهذا المتن من حيث كونه نصا من النصوص الأثيرة لديه أولا، وهو، ثانيا، رصد لما رآه الرحالة في هذه الديار فتوجه باللسان وخلده بالبيان كما سبقت الإشارة.

نشر النص مترجما، إلى اللغة الفرنسية، في بداية القرن العشرين تحت العنوان التالي:

ALRIHLA ILA BILAD ALINGLIZ:DE HASSAN LGHASSAL. REVUE DU MONDE MUSUL MAN.VOL.IV 1908.P1-20

2- ونشر باللغة العربية سنة 1979 من قبل الأستاذ عبد الهادي التازي بمجلة البحث العلمي"[13]

ولاشك أن الأستاذ "عبد الهادي التازي" قد بذل - مشكورا - جهدا، وهذا ليس غريباً عن نشاطه العلمي والأكاديمي منذ عقود طويلة، في إخراج - أطال الله عمره - هذه الرحلة التي نشرها بالمصدر المذكور أعلاه. وقد أحسن الأستاذ 'عبد الهادي التازي صنعاً عند إصداره لهذا العمل الهام مستخدماً (ولعل ذلك قد يكون من وضع المجلة) كلمة نشر دون تحقيق، منطلقا - وهذا من فضائل العالم أو الباحث الموضوعي - من كون الرحلة المنشورة هي إخراج من أضابير محددة بأسلوب يُيَسِّر قراءة النص بخط مطبعي أساسا، وإشارات عامة لا أتردد في القول بأنها، على أهميتها، كانت شحيحة أو محدودة، علما أن النص ظل في أمَسِّ الحاجة، إلى إشارات عديدة على اختلاف مستوياتها. ولعل ذلك هو الذي دفع بنا إلى الاستفادة من هذا النشر دون أن يمنع ذلك من إعادة قراءتنا لهذا المخطوط قراءات عديدة، فضلاً عن تكليفنا لأحد طلبتنا[14] في قسم الإجازة بإعادة القراءة و - التحقيق أيضا - لهذا المخطوط. هكذا قمنا بهذه القراءة الجديدة المحققة لمستويات عديدة من هذا النص، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(13) مجلة البحث العلمي - عدد مزدوج - 29/ 30 الرباط1979.

(14) () أقصد أحد بحوث الإجازة المنجزة ب"جامعة ابن طفيل "/كلية الآداب السنة الجامعية 98/ 99 القنيطرة. (المغرب) وعنوانه: الرحلة التتويجية الى الديار الإنجليزية للطالبة سعيدة بنسلام. السنة الجامعية 1998- 1999.

أ - المستوى اللغوي، سواء تعلّق الأمر باللغة العربية الفصيحة، وهي لغة وظيفية[15] على عادة الرحالة، أو باللغة العامية، علما أن هذه الأخيرة - بحكم انتساب الغسال إلى طنجة أو شمال المغرب[16]- تأخذ ملامح مميزة صوتا وتركيبا ودلالة. وبالإضافة إلى هذا وذي أضفنا إلى الإشارات اللغوية الذكية، التي قدمها الأستاذ "عبد الهادي التازي" أثناء شرحه للمعجم الإنجليزي الذي حرص الرحالة "الغسال" على تقديمه رغبة في الاستفادة ـ وهذا من وظائف النص الرحلي ـ والإفادة أيضا.

ب- افتقد نشر الأستاذ "عبد الهادي التازي" للتأطير التاريخي - بالمعنى الواسع - من جهة، والأدبي من جهة ثانية، مكتفيا بديباجة عامة حول العلاقات المغربية البريطانية[17]. و بالإضافة إلى هذا و ذاك، انتشرت بعض الأخطاء المطبعية أو السهوية عبر النص.

ولما كان (الغسال) كاتب هذه الرحلة التي كان سفيرها هو القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق، فإننا التفتنا، في تعليقنا، إلى بعض الخصائص العامة للكتابة الرحلية، خاصة عند (الغسال) في سياق المتْن الرحلي الديبلوماسي بشكل عام.

التحليل والتعليق

خضع نص الغسال[18]، وهو في ذلك يشترك مع النصوص المغربية

(15) () لغة الرحلة لغة لغة وظيفية عارية مرآة عارية من التطريز البلاغي ما عدا في الافتتاح والخاتمة. والطابع الوظيفي للغة في الرحلة هو الذي كان وراء التوجه السائد من قبل الرحالة السفاريين الذين تعمدوا استعمال هذه اللغة لنشر المستحدثات من جهة، ومنعا للتأويل المغرض من ناحية ثانية.

(16) نذكر على سبيل المثال: خنجار عوض خنجر / طون عوض طن / البليسية عوض البوليس / فضلا عن كلمات اجنبية محرفة.انظر ملحق الألفاظ العامية والألفاظ الأجنبية في آخر ملاحق هذا العمل خاصة الألفاظ الخاضعة لتأثير اللغة الإسبانية

(17) انظر ص.191-192 من مجلة البحث العلمي.م.م.

(18) أهم نسخ المخطوط، نسخة الخزانة العامة الموجودة تحت رقم 1946/ 3 ضمن مجموع؟؟؟ بالرباط.

المتجهة نحو الآخر أو الأجنبي في القرن 19، لإكراه مركزي ساد هذه المرحلة مجسدا في حدّي الانفتاح والانغلاق. ذلك أن السلطة المخزنية[19] المغربية، آنذاك، تأرجحت بين الرغبة في معرفة الخارج - وهناك مؤشرات عديدة دالة على ذلك - والرغبة، في الوقت ذاته، في الحفاظ على استقلال الداخل. وبالرغم من عدم خضوع المغرب للاحتلال العثماني، كما هو الشأن بالنسبة لكافة الدول العربية، فإن ذلك فرض عليه نوعا من العزلة، محافظة[20] على هذا الاستقلال ودعما لهذه العزلة، مما فرض عليه، في كثير من الأحيان، إغلاق الأبواب غرباً، مع ترك النوافذ مفتوحة بمقدار معلوم بسبب الإكراهات السياسية والاقتصادية المتعددة في تلك المرحلة.

ولا شك أن تتابع أحداث مركزية، في هذه المرحلة، كان وراء إحكام الرتج والإقفال والاكتفاء بالإطلالة من شقوق الأبواب.

من أهم هذه الأحداث نذكر احتلال الجزائر (1830) وتونس (1881)، أي احتلال الطريق البري الذي سلكه الرحالة المغاربة[21]، وهم يتوجهون نحو الحج، منذ عقود طويلة. وجاءت قاصمة الظهر الأولى مجسدة في هزيمة "إيسلي" (1844) شرقا[22]، ثم قاصمة الظهر الثانية ممثلة في هزيمة تطوان (1860) شمالا[23]، وما تبع ذلك من معاهدات واتفاقيات جائرة[24] وضعت المغرب تحت رحمة الأجانب وتكالب القوى الغربية، مجسدة في الدول الأربع

---

(19) داخل السلطة المخزنية وجدت النخبة الملتفة حول السلطة من فقهاء وعلماء وقواد وكتاب دواوين..الخ تأرجحت بين المحافظة والتجديد.

(20) إلى الحد الذي رفض فيه زعماء هذا التيار الركن الخامس من الإسلام. ف"محمد بن جعفر الكتاني أفتى بتأجيل الحج إذا كان بواسطة مراكب الكفار انظر: سلوة الأنفاس. مخطوط. ج.2. طبعة حجرية. الخزانة العامة/ الرباط. ورقة 226 وهناك مواقف اخرى لـ "الناصري" و"أكنسوس" وغيرها. من كتاب القرن 19.

(21) أي الطريق المغاربي، فأصبح البحر هو الطريق الوحيد أو الرئيسي علما أن بحيرة المتوسط. على حد تعبير عبد الله العروي . لم تعد بحيرة إسلامية. انظر: عبد الرحيم مؤذن: أدبية الرحلة. دار الثقافة. البيضاء. 1996، ص.64.

(22) التي أدت إلى احتلال المناطق الشرقية المحيطة ب "وجدة" شرق المغرب.

(23) حرب تطوان.

(24) مثل معاهدة 1856 مع إنجلترا / معاهدة 1880 مع أسبانيا.

الكبيرة (إنجلترا، فرنسا، إسبانيا، ألمانيا)[25] المنظرة للغزو من جهة، والمنفذة للحلقات الاستعمارية المتكاملة منذ كشوفات النهضة الأوروبية في القرن 15 م من جهة ثانية. نضيف إلى ذلك مظاهر التمرد الداخلي[26] لأسباب عديدة دفعت بالغرب الاستعماري للترويج لأطروحة مشبوهة، بهدف تبريره للاحتلال، تدور حول أراضي "السيبة"[27] أي التسيب، وأراضي المخزن، أي الأراضي الخاضعة للسلطة المخزنية أو الدولة.

في هذا السياق تعاملت "النخبة"[28] مع الحداثة من خلال الغرب الغازي وانقسمت، نتيجة لذلك، إلى فئتين:

أ- فئة محافظة ترى في الحداثة مرادفا للكفر والفساد[29].

ب- فئة متفتحة ترى في الخارج، بشكل مباشر أو غير مباشر، مكانا للاستفادة. والقاسم المشترك بين هاتين الفئتين يتمثل في ترويج الصراع الدائر بين "دار الكفر" و" دار الإسلام"، وتبريرات كل من الطرفين لا تخرج عن دلالتي الكفر والإسلام. فالمحافظون يرون في الاستعمار "عقابا لولاة المسلمين الذين ساموا شعوبهم الذل والهوان"[30] والمنفتحون يؤكدون أن المجتمع الأوربي "أصبح يحارب بجحافل الحكماء والمخترعين وليس بجحافل الجيوش"[31]

---

(25) وهي الدول التي تصارعت حول المغرب مستفيدة من اتفاقيات ظالمة مهدت لاحتلال المغرب.

(26) في المرحلة التي كتب فيها المخطوط اشتعلت بؤر التمرد في قبائل عديدة.

(27) كان الاستعمار يعتبر أراضي السيبة أي البعيدة عن السلطة المخزنية أرضا خلاء مفسحا المجال للتدخل وتجريب الأسلحة وخلق الموالين له أي المطالبين (ظاهرة المحميين) وتشجيع الفتن. انظر: ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي. كلية الآداب الرباط 1986، ص.363. و السيبة مرادفة ل: التسيب.

(28) لا يمكن اعتبار النخبة تيارا إصلاحيا منسجما بل و إنها مجموعة أفكار إصلاحية تخضع للمد والجزر. انظر: محمد عابد الجابري: المغرب المعاصر الخصوصية والهوية. الحداثة التنمية. مطبع، بنشرة للطباعة والنشر. 1988، ص.17.

(29) سلوة الانفاس/ مرجع مذكور.

(30) الظاهر الأودي: الاستبصار، مخطوط خاص. وهو من مثقفي القرن 19 الداعين إلى الاستفادة من الغرب وثقافته.

(31) الطاهر الأودي: الاستبصار: مخطوط خاص / انظر أيضا: محمد بن عبد القادر الكردودي الداعي إلى الحرب المنظمة من خلال مؤلفه: "كشف الغمة في أن حرب النظام واجبة على الأمة ". في ملك الفقيه محمد المنوني رحمه الله مظاهر يقظة المغرب.

واستطاعت الرحلة الديبلوماسية أو السفارية[32] أن تتابع تحولات المجتمعات الأوربية باندهاش وإعجاب حينا، وبرغبة عميقة حينا آخر، لدى كتابها في الفهم والتفسير والتأويل، مستفيدة من "صدمة الحداثة" مجسدة في تأليفات وفتاوى ومذكرات[33] وتعليقات الذين زاروا الغرب لأسباب عديدة.

هكذا قدمت لنا الرحلة السفارية خاصة، والرحلات التي مرت بالغرب عامة، مظاهر الحداثة بأسلوبين:

أ- أسلوب مباشر تجلى في إبراز فوائد التحديث وانعكاساته الإيجابية على المجتمع والإنسان ما دام ذلك لا يتعارض مع الشرع والعقل.

وتميز هذا الرصد المباشر بنوع من الانتقائية بالتركيز على موضوعات محددة وأساليب معينة.

ب- أسلوب غير مباشر جسدته رحلات لم تندرج تحت الإطار الديبلوماسي أو (السفاري) بل اندرجت تحت إطار أنماط رحلية أخرى. فرحلة "الغيغائي"[34] الحجازية (الحجية) قدمت مظاهر الحداثة من خلال تجلياتها غير المباشرة مجسدة في تطبيقاتها العربية المجسدة في تجربة "محمد علي بمصر" التي توقف بها الرحالة المتجه نحو الحج أو الحجاز.

من هنا كان إعجاب الرحالة بمصر في القرن 19، التي استعملت

---

(32) بدأ التأليف السفاري، أيام السعديين علما أن العلاقات الديبلوماسية متجدرة في القدم أما الكتابة الرحلية الديبلوماسية فقد بدأت مع الدولة السعدية "وأول رحلة بلغتنا من هذا النوع هي التي وضعها سفير المنصور الذهبي "علي بن محمد التامكروتي" الى الخليفة العثماني مراد الثالث سنة 997 ه" انظر محمد الفاسي: من وحي البينة، مطبوعات، عيون المقالات، البيضاء 1982. ص14.

(33) انظر، على سبيل المثال، مذكرات "محمد طُبحّة" وهو أحد قواد الحسن العسكريين الذين ذهبوا إلى "إيطاليا" للتعرُّف على الحداثة العسكرية. (مذكرات خاصة).
انظر: عبد الرحيم مؤدن: مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن 19. دكتوراه الدولة. الرباط (مرقونة).

(34) وهي رحلة مخطوطة اتجه فيها الرحالة نحو الحج، مستفيدا من مشاهداته ب "مصر" وغيرها مقدما رسومات للبواخر والتلغراف والقطارات. أنظر: عبد الرحيم مؤدن: أدبية الرحلة 1996.

القطار (بابور البر) والباخرة (بابور البحر) والتلغراف أو كما سماه الرحالة (أخبار السلك)، وقدم في السياق ذاته، رحالة آخر من الفترة ذاتها، دعوته للحداثة من خلال "تجربة محمد علي" الاقتصادية خاصة. يقول بن سعيد السلاوي في هذا المجال مبرزا مظاهر الحداثة وتجلياتها أيام "محمد علي" : .. وإنما حصل فيها الترقي بعد أن دخلها الفرانسيس وقت ولاية بنبارطي[35] وبعد خروجه منها وتوليه الباشا "محمد علي" أخذ في تمدينها وجلب أرباب الصنائع والعلوم من بلاد الإفرنج وبعث أناسا من رعيته نجباء الحواضر لباريز وللوندريز[36]. ومن الضروري الإشارة إلى أن هذين الأسلوبين لا علاقة لهما بتيار المحافظة الذي ـ بالرغم من ذهابه إلى الغرب ـ رفض الحداثة جملة وتفصيلا. يقول أحد الرحالة عن البخار ".. واستنبط هذا ـ البابور ـ المعروف بعقله الظلماني، لأن العقل على قسمين ظلماني ونوراني، فالظلماني به يدركون هذه الأشياء الظلمانية، ويزيدهم ذلك توغلا في كفرهم. والنوراني به يدرك المؤمن المسائل المعنوية، كالإيمان بالله وبملائكته ورسله وكل ما يقرب من رضي الله، ومن هذا الباب وصفهم الله في غير ما آية بعدم العقل وبعدم التفكير، وبعدم الفقه"[37].

والخلاصة المركزية، من خلال هذين الأسلوبين، حضور أسئلة التحديث لدى الرحالة المغربي، سواء رغب في ذلك أو لم يرغب، بل إن التيار المحافظ أو الرافض لهذه الحداثة أحس بوطأتها أو زحفها المتواصل على العالم فرصد التجربة من موقع سلبي لم يلغ الحداثة التي انتشرت بالرغم عن الجميع.

هكذا رادفت الحداثة إشكالية النهضة التي لم تكن في الجوهر إلا إشكالية "الأنا" و"الآخر". ولاشك أن مصطلح نهضة Renaissance،

---

(35) نابليون بونابرت.

(36) مصطفى بوشعراء: التعريف ببني سعيد السلاويين، ج1.م المعراف الجديدة 1991، ص26.- (والوندريز) يقصد بها لندن.

(37) أبو الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمان الفاسي: الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية. م، جامعة محمد الخامس. فاس. 1967. ص8، م.

أوروبيا، يرادف (الولادة الجديدة)، أي القطيعة مع الماضي، في حين يرادف مصطلح نهضة في العالم العربي والإسلامي، النهوض من الكبوة، أو الانفلات من عثرات الماضي دون رفضه. ومن ثم كانت النهضة، عربيا وإسلاميا، «تواصلا مع الماضي ... لذلك ففي اللحظة التي ارتبطت فيه أوربا بفلسفات مستقبلية، ارتبط الفكر العربي النهضوي بفلسفات ماضوية[38].

ولعل هذا ما يفسر تحرك الرحالة، في بلاد الغرب بنوع من الحذر، وكأنه يتحرك داخل حقل من الألغام مليء بالمفاجآت الحسنة وغير الحسنة، زاخر بالمفيد وغير النافع؛ ولكن في الوقت ذاته تمر بـ"الشيطاني" أو بالإبليسي، مبهرا بسرعته ونجاعته مقلقا بمفارقته اللاأخلاقية، مشدودا إلى دنياه غافلا عن آخرته ...يقول "الجعايدي" في هذا السياق مبررا هذه السطوة المادية البراقة:

أباريس إن كانت على الأرض جنة

فأنت هي المأوى على رغم حاسد

فما تشتهيه النفس من كل رائق

كثير بها لكنه غير خالد[39]

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين التيارين لم تكن في حالة قطيعة مطلقة، بل كانت المسافة بين المحافظة والتجديد تضيق أحيانا وتتسع أحيانا أخرى، ووجدنا في كثير من الأحيان الحداثة المحافظة والمحافظة التحديثية أيضا، "فالكردودي" يتابع إنجازات أوربا باندهاش إلى حدود معينة لا يمكن تجاوزها تلك هي حدود العلاقة بين الحداثة والدين. فكل ما يتعارض مع الدين والشريعة يرفضه الرحالة، "وأبو الجمال الطاهر الفاسي "(ينظر) لهذا التعارض مرجعا ذلك إلى شطط العقل، أو "الظلماني" كما أطلق عليه

(38) محمد ظريف: تاريخ الفكر السياسي بالمغرب مشروع قراءة تأسيسية.دار إفريقيا الشرق.1988.

(39) ادريس الجعايدي: اتحاف الاخيار بغرائب الأخبار دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا.

في رحلته، في حين تظل الإنجازات الأخرى التي لم تتعارض مع الشريعة مرتبطة "بالعقل النوراني"[40] وبين هذا وذاك كانت بوادر سلفية **خجولة** آخذة في التبلور من خلال نصوص رحلية أخرى رأى فيها الرحالة، عبر مشاهداتهم، وسيلة للتوفيق بين مستحدثات العصر وتراث السلف. ويظل نص "الغسال" الذي اتجه فيه إلى "إنجلترا" من أهم النصوص الداعية إلى الحداثة والتحديث بأسلوب يتقاطع فيه مع نصوص "الحداثة" في القرن 19 ويوازيها في آن واحد، بأسلوب محايد شع بين الحين والآخر بتثمين للكثير من المنجزات.

1 ـ على مستوى التوازي نلمس

أ- الموضوعات المشتركة من تمدين وصناعة حربية وفضاءات للفرجة وحركة تجارية (اقتصادية) نشيطة ونظام متكامل في التسيير والتدبير، وقوة عسكرية ملموسة[41].

ب- الهاجس التعليمي - وهو قاسم مشترك بين كل الرحلات - الذي قصده الرحالة قصد تعريف المتلقي - سلطة أو جمهورا - بما يجري ما وراء البحار.

ج- لم يشكل الجانب الرسمي أو الديبلوماسي، إلا مجرد عنصر عام ذكر، عادة بعد الديباجة التقليدية، ليتم الانتقال، مباشرة نحو الرصيد المباشر للمرئيات والمشاهدات.

2 ـ وعلى مستوى التقاطع نجد الآتي

أ- تحرر "الغسال" من الأحكام المسبقة التي تحكمت في غيره من

(40) أبو الجمال الطاهر الفاسي: الرحلة الإبريزية. مرجع مذكور ص.31- 36، وهناك نماذج عديدة عند الكردودي في القرن19، وابن عثمان المكناسي في القرن 18.

(41) واشتراك هذه الرحلات في الموضوعات يدل على القضايا المشتركة التي استبدت بالنخبة مثل القوة والنظام ومظاهر التمدن..الخ. انظر، على سبيل المثال لا الحصر: التحفة النسبية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية لمحمد الكردودي. م. الملكية. الرباط 1963.

رحالة القرن 19. لا وجود لذلك التعارض الشهير بين "دار الكفر" و"دار الإسلام" بالرغم من الأجواء المتوترة، والمهيْمِنة على علاقة المغرب بغيره من الدول الأوروبية آنذاك. فـ"الغسال" يصف - دون أن يخفي إعجابه بهذا العالم - من موقع ممثل رسمي لدولة لها كيان وتاريخ.

ب- التفات "الغسال" إلى بعض عناصر القوة في التجربة الأوروبية، والتي لم تحظ بالاهتمام عند باقي الرحالة. وعلى سبيل المثال نذكر:

- "...مجمع نواب الأمة على مصالح الرعية يعني يحضر بها نائب عن كل إيالة أو عمالة وكيلا عنها في جميع مصالحها ودفع مضارها ...وكيفية المفاوضة عندهم في سائر القضايا أن يقوم خطيب من إحدى الفرقتين يخطب على رؤوسهم بورقة من يده متضمنة لما دار في المسألة ثم يقوم خطيب من الفرقة الأخرى..."[42].

- الإشارة الذكية إلى قوة "إنجلترا" الاقتصادية المرتبطة بـ(مستعمراتها). ويظل "الغسال" الرحالة الوحيد في هذه الفترة، الذي استعمل مصطلح (استعمار) في سياق تحولات "إنجلترا" خاصة، وأوروبا عامة.

- الحرص على تقديم التاريخ الميلادي بجانب التاريخ الهجري الذي كان سائدا عند معظم الرحالة. ولا شك أن تقديم هذا التاريخ، في مواقع عديدة من الرحلة، مؤشر على تحول التاريخ لصالح الآخر[43]، أي لصالح الغرب أو أوروبا. وبذلك خلت الرحلة من العبارات الذائعة لدى رحالات آخرين، لم يترددوا في التعامل مع "إسبانيا" كـ(فردوس مفقود)، بل إن الكثير منهم كان يلح على أمنية ضائعة جسدتها جمل اعتراضية مترددة في

---

(42) رحلة الغسال ورقة 23. ولا شك أن "الغسال" قد أعجب بتدبير الاختلاف بين الفرقتين لصالح البلاد والعباد.

(43) تتميز رحلة "الغسال" بإلحاحها على هذا المؤشر الرمزي. ومن النادر . ما عدا في رحلة الصفار إلى فرنسا أثناء القرن 1- . أن نجد هذه الإشارة الدالة على التاريخ المسيحي. انظر ايضا تحقيق وتقديم عبد العزيز خلوق التمسماني لرحلة الغسال المعنونة ب.،الرحلة الطنجويبة المزوحة بالمناسك المالكية،مطبعة فضالة، المحمدية 1998.

النص مشفوعة بالمفارقة الدائمة بين (دار الكفر) و(دار الإسلام)(44).

ينقسم مخطوط "الغسال" إلى الأقسام الآتية:

1- الغرض من الرحلة مع تعريف موجز بالوفد الرسمي للرحلة من سفير وكاتب وأمين.

2- ركوب البحر وملابساته البروتوكولية "دون نسيان وصف السفينة ومكوناتها وخطها العام الذي سلكته قبل الوصول إلى "إنجلترا".

3- الوصول إلى بلاد الإنجليز وتفصيل القول في مختلف مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والترفيهية والعسكرية.

4- العودة إلى المغرب والوصول إلى "طنجة" بعد المرور بـ"جبل طارق".

إن طبيعة هذه الأقسام الأربعة مرتبطة بالضرورة الوصفية، الأداة الفاعلة في كل نص رحلي. وفي كل هذه الأقسام كانت العين الذكية للرحالة تلتقط ما تراه ملائما للسرد والوصف، مسايرا للهاجس المعرفي لدى الرحالة(45).

وقد لا نبالغ في القول إذا اعتبرنا هذه الأقسام الأربعة خاضعة لقاسم مشترك وهو تقديم الحديث أو الجديد في هذه التجربة انطلاقا من العودة إلى لحظة الوصول. وهذا الحديث لم يكن نابعا من تصور - وهذا بديهي بالنسبة للمرحلة - نظري متكامل، بل كان نابعا من ضرورة أساسية، ضرورة المعرفة، قبل أن تكون الحداثة..إشكالا فكريا. فالمغرب، آنذاك لم يعد أمامه

---

(44) مثل "أعادها الله إلى دار الإسلام" أو "دمرهم . الكفار . الله" رحلة الكردودي (محمد) التحفة السنية للمضبرة الحسنية بالمملكة الأصبنيولية تحقيق عبد الوهاب بن منصور. م. الملكية 1963.

رحلة ابن عثمان المكناسي. تحقيق، محمد الفاسي والمعنونة ب: الإكسير في فكاك الأسير. 1965

والتركيز على التاريخ الميلادي نوع من الوعي بتحول التاريخ لصالح الآخر أي الغرب.

(45) الرحلة فن الوصف السردي أو السرد الوصفي بامتياز واستطاعت أداة الوصف، في السياق السياق السردي العام أن تمسح العديد من المظاهر والمرئيات سلباً وإيجاباً. انظر: أدبية الرحلة.مرجع مذكور، ص. 40، 39,

مجال للتردد أو المفاضلة بين ما يراه الرحالة أو المسافرون نحو الغرب، بل أصبح - تحت تأثير عوامل أو إكراهات عديدة - مضطرا لإدخال أساليب جديدة، ودم جديد بعد أن "كان يحكم بواسطة أجهزة حكومية وإدارية عتيقة لا تستند لمتطلبات العصر"(46).

ولا شك أن هذه الدعوات العديدة التي مارسها "الغسال" وغيره من الرحالة والمسافرين غربا، لم تكن بعيدة عن إكراهات أساسية يمكن إجمالها في التالي:

1- الدعوة للحداثة عن طريق الرحالة المغاربة، جاء من موقع ضعف الدولة وتفككها عوض أن يكون من موضع القوة والتماسك. وهذا ما لم يستوعبه الرحالة المغربي الذي انطلق في مقارنات عفوية بين تجربة "الحسن الأول" ومحمد علي.. علما أن القياس مع الفارق غير مستساغ بحكم قوة تجربة "محمد علي" المسنودة بتشكل قوي لـ "بورجوازية" مصرية، وتطوير اقتصادي وصناعي، واستقلالية سياسية. وبالمقابل كانت التجربة المغربية تجربة معزولة تتصارع فيها أفكار الحداثة والعتاقة، دون وجود درع واق يحمي هذه التجربة، بل إن النخبة ذاتها كانت تعيش صراعا مستمرا حول الحداثة والتحديث.

2- ظل العديد من الرحالة المغاربة - ومن بينهم الغسال - خاضعين لمرجعيتهم التقليدية، ثقافيا، دون أن يمنع ذلك من وجود حالات التفاوت بين هذا الرحالة أو ذاك. ولكن، في كل الأحوال، لم يتسم الرحالة المغربي بالجرأة في دعوته الحداثية .. بل ظل دائما مشدودا إلى مرجعيته التقليدية من جهة، وعيون النخبة المحافظة التي لا تنام من جهة ثاني(47).

---

(46) عبد الوهاب بنمنصور في تقديمه لرحلة أحمد بن محمد الكردودي المعنونة ب. التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية. مطبوعات القصر الملكي 1963.

(47) يصدق ذلك على نصوص اخرى تعد حيوية في التعامل مع التحول الاجتماعي مثل الفتوى. انظر على سبيل المثال لا الحصر: فتوى أبي عيسى المهدي بنسودة حول استعمال البارود وهو من الأسلحة الحاسمة أنذاك . ضد الأجانب. أنظر محمد سبيلا: المغرب في مواجهة الحداثة. منشورات الزمن.ع.4، يوليوز 1999.ص.13.

3- من أهم المفارقات في التجربة الحداثية المغربية وجود الداعين إلى الحداثة في صلب السلطة المخزنية، في حين انتشر المعارضون بين رحاب "الشعب"، علما أن المجال الحيوي للحداثة هو الفضاء الخارجي الذي لم يكن مستعدا لتقبل "بدع" الغرب وألاعيبه. هكذا برز المعارضون لهذه الحداثة من شرائح الفقهاء، وزعماء الزوايا، والمتمردين القادرين على تهييج العواطف خاصة في مرحلة "المولى عبد العزيز" الذي مثله الرحالة "الغسال" في رحلته إلى إنجلترا".

4- ولا شك أن تبني السلطة المخزنية لهذه الحداثة لم تكن بدون قيد أو شرط، بل كان التبني لهذه المظاهر الحداثية في حدود الحداثة المحدودة في الجانب العسكري أكثر من غيره. وكأن الأمر يتعلق بنقل مظاهر محددة أو استنساخ تجارب معينة مع إغفال تام للأسباب الجوهرية المؤدية إلى هذا التقدم من تفتح سياسي ونشر قيم العقل، وإعادة النظر في النماء والتطور، أي إغفال ما قد يثير الجدل من مواقع متعددة.

5- ولا يقتصر الأمر على الإكراهات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي منعت من مسايرة خطاب الحداثة الصادر عن هؤلاء الرحالة، بل إن قصر المدة الزمنية لهذه الرحلات لم يسمح باستيعاب ذلك الشلال المتدافع من المخترعات والمستحدثات والإنجازات فالفرق - على سبيل المثال - شاسع بين رحلة "الطهطاوي" التي استمرت خمس سنوات وبين الرحلات المغربية التي لم تتعد أشهرا قلائل، فضلا عن اختلاف طبيعة رحلة الطهطاوي عن طبيعة الرحالة السفاريين المغاربة الذين ظلوا خاضعين للمهمة الرسمية قبل المهمة الثقافية، مما كان سببا في تقديم أكبر كم ممكن من مظاهر الحداثة دون محاورتها كما فعل "رفاعة الطهطاوي"[48].

(48))) تميزت رحلة "الطهطاوي" بالرصد الدقيق لمنابع قوة الغرب أو مصادر تطوره ومنها إشاعة العقل ومبادئ الحرية وأسباب القوة. ولعب العامل الزمني الذي تحكم في الرحلة . ومدتها خمس سنوات . دورا مركزيا فضلا عن توجهات "محمد علي" الحداثية المسنودة بإنجازات اقتصادية من جهة، وبتشكلات اجتماعية**لبوادر"بورجوازية" من جهة ثانية.

6- وفي السياق ذاته كان التوجه نحو الحداثة - كما سبقت الإشارة - اختيارا لا رجعة فيه، خاصة أن المغرب، في عهد "مولى عبد العزيز"، قد استنجد بـ"أوروبا" لدعمه في محاربة أشكال التمرد من جهة، وإدخال الإصلاحات "الحداثية" من جهة ثانية. كل ذلك مزج الحداثة بالاستعمار، ومزج التقنية بالجبروت العسكري. غير أن ذلك لم يمنع "الغسال" من تفصيل القول في ما رآه من مستحدثات مستشعرا الفارق الشاسع بين مجتمعه والمجتمعات الأوروبية. وأثناء عرضه لذلك، كان "الغسال".

7- يتميز عن معاصريه من الرحالة المغاربة بالآتي:

- التزام الحياد، في عرضه للمستحدثات، دون إصدار حكم قيمة، لا أثر للهجاء أو النقد اللاذع لمظاهر الغرابة في المجتمع الأوروبي[49].

- الابتعاد عن الجانب الديني الذي شكل محط رفض وإدانة للعديد من الرحالة. ولعل مرجع ذلك يعود إلى تفضيله للجانب العملي أو النفعي في الحداثة.

- الإعجاب الرصين بالمظاهر العجيبة والغريبة في هذا المجتمع مع الإصرار المتواصل من قبل الرحالة على الفهم والتفسير والتأويل.

الرحلة والكتابة: ينتمي النص الرحلي إلى بنية قولية مرنة تستوعب أنماطا من القول، وأشكالا من الأجناس الأدبية وغير الأدبية. غير أن هذا التعدد في أنماط القول يخضع لهيمنة بنية مركزية مجسدة في بنية السفر. وبسبب هذه الهيمنة انتشرت طرائق السرد والوصف في آن واحد، داخل المتن الرحلي (ق١٩) الذي سار في اتجاهين كبيرين: اتجاه ديني وآخر دنيوي، وتميزت الرحلة المغربية، خلال هذه الفترة، بخصائص محددة برزت في مخطوط "الغسال" وغيره من المخطوطات. ومن أهم هذه الخصائص نذكر:

(49) بالقياس إلى أبي الجمال الطاهر الفاسي في رحلته إلى "إنجلترا" متوزعا بين الرفض أحيانا، والهجاء، غير المبرر أحيانا. الرحلة الإبريزية إلى الدبار الإنجليزية (ق.19)، تحقيق وتعليق محمد الفاسي. مطبعة محمد الخامس، فاس، 1967.

1- بداية نمطية تشترك فيه الرحلة مع الرسالة والخطبة والنثر التأليفي والكتابة الديوانية. تلك هي بداية البسملة والحمدلة أولا، ومدح أولياء النعم ثانيا، وإبراز وجهة الرحلة أو أهدافها ثالثا[50].

2- وصف المكان (الفضاء) المرتحل إليه. وطبيعة الوصف عند "الغسال" موازيا أو متقاطعا مع غيره من الرحالة، تقوم على استعمال البصر والبصيرة. أي استعمال البصيرة (العقل) لفهم وتأويل هذه المرئيات.

3- وبالإضافة إلى ذلك ظل الوصف مدينا لخطابات سابقة وجدت في:
أ- علم الأطوال والعروض بقياساته الهندسية الدقيقة[51].

ب- أدب المسالك والممالك عن طريق تقديم العجيب والغريب من جهة، والممتع والمفيد من جهة ثانية.

ج- أسلوب الخطط في الاحتفاء بطابع التمدين ومتابعة التوزيع الحضري - والحضاري أيضا - لمختلف الفضاءات الدالة في هذه الرحلة.

د- رواسب معجم البلدان في تقديم أسماء الأماكن والمنشآت ومعادلات الألفاظ الأجنبية وإعادة صياغة "طوبونيميا" (علم أسماء الأماكن) مؤولة حسب الجهاز المعرفي واللغوي للرحالة.

الرحلة، إذن، متعددة الأنظمة، ولكنها، في الوقت ذاته، خاضعة لنسق سردي - وصفي - يعيد صياغة هذه الأمكنة أو الفضاءات من موقع خاص. فإذا كان العديد من الرحالة المغاربة - في القرن 19 - قد انتقلوا إلى "إنجلترا" فإن تعاملهم مع الأمكنة المتشابهة لم تنتج الاحساسات النمطية واللغات المشتركة والتأويلات المنسجمة. فنحن "لا نسبح في المكان مرتين".

(50) وهذه البداية النمطية ناتجة عن سيادة الثقافية الرسمية خاصة أن المتلقي في الرحلة السفارية هو السلطة المخزنية الحاكمة. إنها كتابة ما قبل الارتحال. وبمجرد الدخول في عالم الرحلة تأخذ صيغ التعبير ملامح أخرى مستوحاة من المعجم اليومي واللغة الوظيفية.

(51) ما زالت الرحلة مرتبطة بعلم الجغرافية الخاضع بدوره لما أسماه الباحثون بـ"الأدب الجغرافي" المنسحب على المتن الرحلي عامة..أنظر: كراتشكوفسكي تاريخ الأدب الجغرافي، تر، صلاح الدين هاشم. لجنة التأليف والنشر. القاهرة. 1965.

ولعل من أهم الجوانب الأدبية للمتن الرحلي إنتاجه لتراكم نصي واقعي قد ينتسب إلى واقعية القرن 18 التي رفعت شعار "تفسير أشياء بأشياء"(52). وهذا ما فعله الرحالة المغربي الذي كان يلح على الملموس أحيانا، ويقرب المتخيل - أحيانا أخرى - من متلق كان يعيش عزلة عميقة في هذه المرحلة. ومن أهم ملامح هذه الواقعية نذكر:

أ- الرصد المفصل، والجزئي، للمرئيات والمشاهدات.

ب- الإلحاح على التفسير والتأويل والتعليق لغة ودلالة.

ج- المعجم اليومي الذي يجمع بين الفصيح واللهجي، بين الفصيح المبسط واللهجي الخاص (لهجة الشمال مثلا)(53)، بين اللغة الوظيفية. والمصطلح الأجنبي، بين التعريب والتعجيم(54).

د- الحس الجدالي المتعلق بالطبيعة النقدية التي يفرضها المكان المرتحل إليه عبر تعدد الأسئلة المفترضة المرتبطة بالموضوعات التقنية، والتحولات الاقتصادية المتسارعة. فالرحلة السفارية، عادة، تنطلق من الحس الحواري المفترض وجوده عند متلق متوجس من هذه "البدع" خاصة أن "النخبة" المغربية المتأرجحة بين المحافظة والتجديد لم تستطع الابتعاد عن التأثير الأوروبي، بل إن "الفئة التي رفضت النموذج الأوروبي رفضا قاطعا، أو غير قاطع، واختارت الإنكفاء و الانغلاق والاكتفاء بسلطة النموذج السلفي التقليدي العربي الإسلامي، كانت تفكر تحت تأثير سلطة النموذج الأوروبي وجبروته وقهره من حيث أنه كشف لها عن فساد نظامها المجتمعي وتفككه وانحطاطه وحفزها إلى التفكير في إصلاحه"(55).

---

(52) عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي. الواقعية. دار الرشيد، بغداد 1979.

(53) في مرحلة الغسال نماذج كثيرة. أنظر ملحق هذا التعليق حول اللهجة المرتبطة ب"الشمال المغربي" عبر صياغة المنطوق كتابة.

(54) انظر ملحق الألفاظ الأجنبية والألفاظ العامية في آخر هذا العمل.

(55) عبد السلام الحيمر: النخبة المغربية وإشكالية التحديث من، النجاح الجديدة البيضاء2001. ص. 175.

هـ- استطاعت الرحلة أن تثير قضايا العصر بعد أن ظل الخطاب الثقافي، عامة، والأدبي خاصة، أسير الأجناس الأدبية المتوارثة، أو أسير الأغراض التقليدية. استفادة (الرحلة) من أسلوب التعبير المتحرر من قيود البلاغة الشائعة ساهم بدوره في الارتباط ب(اليومي) الذي شكل اهتمام الرحالة وأسئلته حول الماضي والحاضر. وتميزت -في هذا السياق ـ رحلة "الغسال" بأسلوب مميز من حيث بنية التعبير على الشكل التالي:

1- خضوعها لطابع المذكرات(56)، فـ(الغسال) كان حريصا أشد الحرص على التأريخ الدقيق لمراحل انتقاله انطلاقا من يوم الخروج (السبت 17 ربيع الأول)(57) وصولا أو عودة إلى الوطن في الثاني من ربيع الثاني.

2- وهذا يؤكد على حرص الرحالة الدائم في جانب التوثيق مما منح الرحلة طابعا تسجيليا هاما لامس جوانب التاريخ الاجتماعي ولحظات التحول الاقتصادي وفترات النمو التجاري، فضلا عن جوانب عديدة في التمدين.

3- لامس (الغسال) قضية الاختلاف بين الإنجليز والمغاربة، بين الإنجليز ودول المستعمرات(58) التي أشار إلى مظاهر اختلافها عن أوروبا بملاحظات أثنوغرافية دالة. لامس الرحالة كل ذلك ليبرز ضرورة الانفتاح على (الآخر) ما دام هذا الأخير قد قطع أشواطا هامة في النماء والتطور، كل ذلك بفضل هذا الاختلاف الذي كان عنصر يَقَظَةٍ من خلال الآتي:

أ- احترام اختلاف الفرق السياسية داخل (مجمع الأمة) أو داخل البرلمان

---

(56) عرفت هذه الفترة نماذج عديدة من (مذكرات) الذين ارتحلوا عند الآخر. ويحتاج ذلك إلى وقفة خاصة علما أن الكثير من هذه النماذج ما زال ملكا للخواص نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض النماذج للطلاب المغاربة المبعوثين إلى أوروبا، في القرن19، والذين سجلوا انطباعاتهم في مذكرات وتقييدات خاصة:- الطالب الحسين الزعري -الألب محمد الكعاب - الطالب الطاهر الاودي صاحب الاستبصار المذكور سابقا.

(57) يوافق 17 ربيع الأول 1320- 1902م.

(58) أي دول" الكومونولث" او ما يدور في فلكها.

الإنجليزي بفرقتيه: فرقة المخزن (الحزب الحاكم) وفرقة الأحرار أو المعارضين آنذاك.

ب- اختلاف مصادر الثروة نهراً وبحراً وبراً ومصادر كهربائية وغازية وبخارية وحيوانية وأخيرا، وليس أخراً، بشرية.

ج- اختلاف ما رآه الرحالة، في الحياة اليومية الإنجليزية، بالقياس إلى بلده، ومن ثم فتقديمه لهذه المرئيات بكل جزيئاتها ودقائقها، هو نوع من المقارنة غير المباشرة بين الغرب و"الآخر" وبالرغم من أسلوب الحياد والاندهاش أحيانا أخرى، فإن ذلك لم يمنعه من ممارسة هذا "الوصف المقارن"(59)، بطريقة غير مباشرة، مبطنة بتحفيز مؤدب للاستفادة والتوظيف الملائم.

ولعل هذا ما يفسر، وهذا من خصائص الرحلة عامة، سيادة الجانب التوثيقي في الرحلة، وأهمية الرحلة تكمن، أساسا، في هذا الجانب التوثيقي الذي سمح برصد تحولات أوروبا - من خلال إنجلترا - في القرن 19 وبداية القرن 20، ولعل أهم مظاهر هذا التحول - كما رصده "الغسال" تكمن في التطور الصناعي الشامل الذي أنتج:

أ- انتشار "الفابريكات" والعديد من أنواع الشركات "الكمبانية" ومظاهر الآلة المختلفة.

ب- ازدهار التجارة بيعا وشراء وتصديرا، ونقلا بريا وبحريا.

ج- الطاقة اليدوية والغازية والكهربائية التي كانت وراء تحويل مسار أوروبا نحو الميكنة والتصنيع من جهة. ووجهتها من ناحية أخرى نحو آفاق الكشف المؤدي إلى مستعمرات إمبراطورية كانت تحلم بشمس ساطعة لا تغيب، والاحتفال "البروتوكولي" المخصص لـ"إدوارد السابع" يعكس

---

(59) عبد الرحيم مودن: أدبية الرحلة. دار الثقافة. 1996 ص**وللتذكير ف "الآخر" لا يأخذ طابع الاختلاف إلا في جوانب مظهرية بارزة دون أن يمتد ذلك إلى الاختلاف الفلسفي الذي سيأخذ طابعه العميق في مراحل تالية تنسحب على جوهر الصراع الحضاري مستقبلا.

علاقات "إنجلترا" بدول المستعمرات[60] المختلفة. ولا شك أن هذا التحول المتسارع اقتضى وجود لغة مرنة - كما سبقت الإشارة - تقوم على معجم اتسم بالآتي:

أ- استخدام اللغة كوسيلة دون أن تكون غاية. فأمام تسارع المرئيات المفاجئة أمام بصر الرحالة، لم يعد يجد مفرا من ملاحقات هذه المشاهد المتدافعة دون مراعاة - وهو من الكتاب المخزنيين - أساليب البيان الشائعة في الكتابة الديوانية التي انتمى إليها فقهاء وكتاب السلطة آنذاك.

ب- برز ذلك جليا في اللفظ العربي البعيد عن المرجعية التراثية، أو المعرب عن الأجنبي[61] أو المحتفظ ببنيته الدارجية تركيبا ونطقا ورسما[62] أو المستعمل بمنطوقة الأجنبي دون مركب نقص ما دام الرحالة يعرف، مسبقا أهمية استيحاء أو نقل ما رآه، أو سمعه بهذه المناطق. ومن ثم كانت "اللغة الوظيفية" في الرحلة نافذة من نوافذ الحداثة الأسلوبية - بوعي أو بدون وعي - لنقل مظاهر الحداثة المجتمعية مستقبلا.

ج- ولم يكتف الرحالة باستخدام المعجم الوظيفي السابق ذكره، بل طعم الرحالة هذه المفردات بالشروح الملائمة والتفسيرات المفيدة دون الاكتفاء بالمفردات المختصرة. ف"بنيوس وهي عبارة عن صهاريج رخامية على قدر جرم الإنسان"[63] و"أسطيشن" أعني موقف بابور البر"[64]....الخ

وقد لا نبالغ في القول إذا اعتبرنا اللغة في المتن الرحلي، من أهم مستويات (الواقعية) في نص متميز بطرحه لإشكال العلاقة مع الواقع بأداة لغوية استندت إلى تشكلات الواقع، قبل تشكلات الكتابة، وتشكلات الرؤية

---

(60) أي نظام "الكومنولث".

(61) انظر أطروحة الدكتوراه التي حضرناها حول: مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن 19. نوقشت بكلية الآداب بالرباط سنة 1996.

(62) خاصة اللفظ الاسباني الذي مثل غزارة كمية ملموسة في النص.

(63) الرحلة. ورقة.6.

(64) الرحلة. ورقة.9.

قبل تشكل النص[65]. فالهاجس الأساسي للرحالة، آنذاك، هو قراءة الواقع قبل قراءة النص الذي كان محايثا للواقع، متابعا لكل تحولاته المختلفة مما فرض عليه استعمال أداة لغوية وظيفية لفهم ذاته أولا، ولفهم الآخر ثانيا.

استطاع "الغسال"، إذن، امتلاك رؤية معينة لـ (الآخر) بعيدة عن الانبهار الساذج أحيانا، أو الرفض المطلق أو القبول النهائي أحيانا أخرى. وهو في رحلته يقدم ما يراه بنوع من الرصد الموضوعي الذي لا يفرض التموقع لصالح جهة ما، علما أن زمن الرحلة كان يفرض الاعتراف بالقوانين الجديدة المتحكمة في العالم. ومن المؤكد أن الرحالة كان بإمكانه أن يصرح بذلك، غير أنه فضل الاكتفاء بالإشارة الذكية والتي توحي بضرورة التدبر والإلحاح على ما "ينبغي أن يحفظ ويعتنى به، وتنبيها لمن يتهيأ في المستقبل بمثله ليكون على بصيرة مما في هذا التقييد كله وليقس ما لا يقل". والإشارة الأخيرة، "وليقس ما لا يقل" مخاطبة للسامع لكي يستعمل المنهج الشائع، منهج قياس الأشباه بالنظائر، و"قياس الحاضر بالغائب"[66] وهو منهج كان المجتمع المغربي في أشد الحاجة إليه للتعامل مع الحداثة انطلاقا من مصلحة الجماعة. والرحالة مؤمن أن مسار التطور يسير بديناميكية متواصلة، مما دفع به إلى أن يكثف القول في هذه الخاتمة المركزة "تنبيها لمن يتهيأ في المستقبل بمثله". إنها دعوة للاستفادة من مرئيات الرحالة لـ (الآخر) ومشاهداته أثناء تلك المرحلة الحرجة من تاريخ المغرب.

عبد الرحيم مودن

جامعة ابن طفيل كلية الآداب

القنيطرة- المغرب 2003

(65) تعد الرحلة من النصوص السردية الواقعية المبكرة في سياق محاولة فهم "المثقف المخزني" لتحولات الواقع المتسارعة آنذاك، خاصة أثناء هذه المرحلة، مرحلة القرن 19.

(66) ما زال الرحالة . أثناء دعوته الاجتهادية المؤدبة . يسير الهوينى في واقع لم يكن مستعدا لقبول البدع والمستحدثات "الكافرة". فالعالم آنذاك عالمان: عالم الإسلام وعالم الكفر، عالم السلام وعالم الحرب.

مسار الرحلة

الانطلاق 17 ربيع الثاني 1320هـ

21 يونيو 1902م

طنجة 17 ربيع الأول / 21 يونيو

مرسى جبل طارق

بحر بشكاية 23 يونيه

بابليمس 24 يونيه

لندرة 25 يونيه

بورط سميد 26 يونيه

ونزة 28 يوليه

مرسى تيلبري 2 يوليه

جبل طارق 6 يوليه

طنجة 6 يوليه / 2 ربيع الثاني

نصُّ الرِّحلة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الهادي إلى سَوَاءِ الطريق، المنقد[1] بمنه وفضله الضال والغريق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب التاج واللواء الحقيقي، وعلى آله وأصحابه أُولي الهداية والتوفيق، وبعد لما بلغ شريف علم سيدنا وولي نعمتنا، مولاي أمير المؤمنين، سليل الطيبين ونعمة السادات الهاشميين، المحفوظ بئاية الحفظ المنيعة، وعقد الدولة العلوية، وجوهرة إنسان عين البلاد المغربية[2].

سلسلة الذهب الإبريز، حضرة سيدنا ومولانا عبد العزيز[3] أدام الله تعالى تأييده ونصره. وأبقى لنا وللعباد وجوده، وأجرى في طالع اليمن سعوده ما شنف الأسماع. وشاع في سائر الأقطار والبقاع. مما عزمت عليه سائر الأقطار والبقاع. مما عزمت عليه حضرة السلطان (أكريت أبريطن)[4] وإمبراطور

---

(1) أي المنقذ.

(2) أي بآية.

(3) السلطان المولى عبد العزيز. (1894-1908)/ 1311هـ/ 1326.وهذه المرحلة من اللحظات الحرجة في تاريخ المغرب.

(4) بريطانيا العظمى.والرحالة يفضل . لأهداف معرفية وتعليمية . إيراد الكلمات الأجنبية وترجمتها أيضا.

وهو السفير الذي ترأس هذه السفارة.

الهند المعظم لدى المسامع، جلالة إدوارد السابع[5] من الجلوس على مِنصَّة العز والتمكين، والتتويج بتاج الملك الرصين. انتخبت الحضرة الشريفة أعزها الله سفيرا لهذا المشهد الرائق والجمع الفائق. خديمها الأنصح المكرم الباشا الأفخم المحترم نخبة الباشوات الصادق السيد عبد الرحمن بن عبد الصادق[6] ورشحته أيدها الله نيابة عنها لحضور هذا المحفل المحفوف بغاية الأبهة الملوكية وتهنئة[7] لسلالة الملكة الفكتورية، والإسعاد للدولة البريطانية[8] المفخمة بعاصمة إنكلترا[9]، فكان ركوبنا على اليمن والبركة من ثغرنا السعيد كلاه الله وحماه في الساعة العاشرة صبيحة يوم السبت سابع عشر ربيع الأول سنة عشرين وثلاث مائة[10] وألف هجرية[11]، وذلك صحبة المركب الحربي الإنجليزي المسمى (رويان صفرن)[12] قاصدين جبل طارق، ولما صعدنا له قابلنا رئيسه وكبراؤه مقابلة رسمية لائقة بالسفارة السعيدة، وفي الساعة الحادية عشر ونصف أقلع المركب بنا، وأثناء السير أتحف السفير المذكور رئيس المركب بسكين مُفَضَّضٍ[13] رفيع بحمَّالته الذهبية، وخليفته بخنجر كذلك وفق العادة الجارية، وبعد مسير ساعتين ونصف أرسينا بمرسى جبل طارق ونزلنا بالمون[14] الجديد المعد لنزول أهل المراكب الحربية، وقابلنا عند (المون) وكيل سيدنا ثمة الأرضى الطالب السيد عبد السلام بوزيان[15] وخليفة حاكم البلد

(5) ملك بريطانيا وأيرلندا (1841- 1910). والسلالة الفكتورية نسبة إلى الملكة فكتوريا أعظم ملوك أوروبا في القرن التاسع عشر حكمت 64 سنة من 1837 إلى 1901.

(6) القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق وهو السفير الذي تم اختياره في هذه الرحلة.

(7) وَتْغية (كما هي واردة في المخطوط).

(8) البرطانية (كما هي واردة في المخطوط).

(9) انكلترة (كما هي واردة في المخطوط).

(10)ماية (كما هي واردة في المخطوط).

(11) الموافق 21 يونيه 1902.

(12) - ROYAL SOVEREIGN أي الحادية عشرة والنصف.

(13) أي ممنوع من فضة.

(14) يقصد (MOLE) أو DECK.

(15) وهو القنصل المغربي الذي ظل يشغل هذه المهمة الديبلوماسية من 1899 إلى 1906 ب "جبل طارق.

والكبطان[16] اعني قائد المرسى، وجماعته من الكبراء أحسن مقابلة حامدين لنا بالسلامة وأطلقت مدافع التحية المنحوتة أبراجها في الجبل، كما أطلقت من المركب المذكور أيضا وفق القانون الرسمي، ثم ركبنا في (الكُوجْيسْ)[17] أعني عربية كانت معدة لركوب السفير، ومن معه، وتوجهنا فيها بين صفوف العساكر النظامية حاملة للسلاح مؤدية مراسم السلام والتحية، والموسيقة تصدح بالنغمات والألحان الإنجليزية، وسارت بنا والحالة أن الطرقات والسراجم[18] كلها متزاحمة بالأهالي رجالا ونساء لائحة عليهم لوائح السرور إلى أن وصلنا إلى دار النقنصوات[19] السعيدة. فنزلناها وبعد نحو ساعة توجه السفير لدار حاكم البلد الأشيب العاقل المعتبر(سجورت ويط)[20] بقصد السلام عليه وفقا للقانون الجاري عندهم من كون القادم هو يبتدئ بالسلام، فتلقى السفير بغاية التعظيم والترحيب. وبعد هنيئة[21] من مجالسته رجع السفير لمحل نزوله المشار إليه، وفي الساعة العاشرة صباح يوم الاثنين[22] ورد عليه الحاكم المذكور وخليفته بقصد رد (البزيطة)[23] وهي عبارة عندهم على رد الزيارة، فقابله السفير أحسن مقابلة ولاطفه أحسن ملاطفة، وتناول معه شرب الأتاي[24] ثم لما حاول الانصراف أتحفه السفير بسكين رفيع بحمالته الذهبية وخليفته بخنجار[25] مفضض كذالك[26] فأظهر بذلك سرورا عظيما وخرج من عنده على أتم نشاط، وقد كان بساعة خروجه ودخوله ببابه العدد الكثير من

---

(16) رتبة عسكرية تعادل القبطان الشائعة.

(17) تحريف للكلمة الإسبانية COOCH أي العربات المجرورة بالخيول والمعدة للركوب.

(18) الشراجم/ سرجم: نافذة.وتجمع ايضا على السراجم.

(19) أي القناصل منطوقة ـ في النص ـ باللهجة المحلية.

(20) SIR GEORGE WHITE.

(21) كذا في النص، والقصد واضح، أي بعد هنيهة.

(22) 23 يونيو 1902 .Les

(23) تحريف لكلمة visite أي زيارة، visita (الإسبانية) بالمعنى ذاته.

(24) الشاي.

(25) نطق محلي.

(26) أي كذلك. ومن تقاليد الكتابة المغربية التراثية ـ المتأثرة بالرسم القرآني ـ المحافظة على المنطوق قبل المكتوب.

الناس مستغربين زيارته حيث لم يعهد أنه زار أحدا هناك، وفي الساعة الثانية بعد الزوال من يومنا هذا وجه لنا الحاكم المذكور عجلته المخصوصة لركوبه فركبناها وصارت بنا للمون الجديد، وألفينا[27] هناك خليفة الحاكم وقائد المرسى المذكورين على الهيئة المتقدمة الذكر آنفا متهيئين لوداعنا، فأدوا مراسم الوداع على القانون المعهود وركبنا بابورا صغيرا مخزنيا ليوصلنا للباكبط[28] وبمجرد الركوب أطلقت مدافع التحية على العادة إلى أن وصلنا للباكبط المسمى بالباشا[29] ومعناه باللغة الفارسية بلاد الفرس، فإذا هو باكبط جيد متسع طولا وعرضا في غاية الإتقان والنظافة، ثقله ثمانية آلاف طون[30] وقد أنشئ عام ستة وتسعين مسيحية. وبه عدة بيوت من المرتبة الأولى المسمات[31] عندهم بالبريمة[32] ذات الفروش النظيفة ويليها عدة بيوت أخرى من المرتبة الثانية تسمى عندهم بالسكونضة[33]. وبه بيت كبير متسع مشتمل على عدة كنابس[34] من الحرير والموبر وهي عبارة عن الكراسي الرفيعة المتقنة الصنعة يسمونه بيت الجلوس والراحة وفيه بيت آخر أيضا يسمونه بيت الدخان كما به بيت كبير متسع جدا معد عندهم للأكل وهو المسمى عندهم بالكميدور[35] وقد احتوى على ما يقرب ثمانمائة شلية يعني كراسي دايرة[36] بالموائد الرفيعة والأواني النفيسة المعدة للأكل عليها، كما به عدة بنيوس[37] وهي عبارة عن صهاريج رخامية على قدر جرم[38] الإنسان ذات عنابيب مائية من البارد

(27) أي وجدنا.

(28) paquebot.

(29) القصد إلى (persia) أي الفرس.

(30) نطق محلي ل (الطن) بلهجة أهل الشمال المغربي.

(31) كما هي واردة في النص أي المسماه.

(32) المرتبة الأولى أو المقصورات الراقية.

(33) المرتبة الثانية أو المقاعد الاقتصادية.

(34) تحريف للكلمة الأجنبية canapé أي الكنبات او الأرائك.

(35) condor أي قاعة الطعام.

(36) أي دائرة.

(37) المقصود إلى الحوض (البانيو) المتعلق بالاغتسال داخل الحمام بعد الانتهاء من الأكل.

(38) أي حجم الإنسان.

والحر[39] معدة عندهم للغسل والتنظيف كل صباح، وقريب منها عدة ميضات[40] نظيفة ذات الماء الجاري بئالة[41] بحيث لا تخطر معها أدنى رائحة، وقدر المستخدمين في هذا ألبا كبط ما يقرب من ماية[42] نسمة وجلهم من أرض الهند ما بين المسلمين وغيرهم، وقد أخبرنا من يوثق به أن كَمْبَانِيَةَ[43] هذا ألبا كبط يعني جماعة تجار ملاك هذا ألبا كبط المسماة بكمبانية (ابنسلار ابدار تيطل)[44] لهم من جنس هذا ألبا كبط ما يزيد على السبعين، وليعلم الراكب في هذا ألبا كبط أن لهم قواعيد[45] وأدبيات عند الأكل والشرب والجلوس وغير ذلك مما يطول شرحه فلترد البال[46] أيها الراكب ولتأخذ بالاحتياط بقدر الإمكان والإنسان فقيه نفسه، وفي الساعة الرابعة عشية يومنا هذا أقلع بنا وسار بنا سير[47] مسرعا لأنه يقطع سبعة عشر ميلا في الساعة، وفي الغد الذي هو يوم الثلاثاء مررنا بمياه البرتغال ويظهر إنها أرض طيبة المنبت غزيرة النفع كثيرة الجبال قوية الحراثة والعمارة وغيرها. وفي يوم الأربعاء دخلنا مياه بحر بِشْكَايَةَ[48] المعروف دائما بكثرة الاضطراب والهيجان غير أنا وجدناه يومئذ متوسط الحال ما بين سهولة وصعوبة، وقدر مسافته خمسة وعشرون ساعة. وفي صبيحة يوم الخميس مررنا على منارة مبنية على حجرة صغيرة وسط البحر وعلى رأسها فنار معد لاهتداء المراكب ليلا وأخبرنا أن قدر منارات الضوء على شواطئ مياه أَكْلْتَرَةْ المعدة لما ذكرنا نحو مايتي[49] منارة احتياطا منهم على المراكب المارة ليلا وصيانة لها من الآفات البحرية.

---

(39) منطوقة بلهجة الشمال الحار أي السَّاخِن.

(40) ميضأة أو مرحاض.

(41) الآلة أو الآلات المستعملة في هذا المجال.

(42) أي مائة.

(43) استعمل الرحالة الباء الفارسية (ب) للتعبير عن الكمبانية أي campany الشركة.

(44) يقصد peninsular إحدى شركات النقل الشهيرة في هذه الفترة.

(45) أي قواعد وقوانين.

(46) تعبير دارجي مغربي يعني: فلتنتبه جيدا..

(47) كذا في النص ولعله من باب السهو سواء تعلق الآمر بالرحالة أو الكاتب (سيرا مسرعا).

(48) يقصد *(Biscaye) في 25 من يونيه.

(49) أي مائتي منارة.

وفي الساعة العاشرة ونصف نهارا من يومنا هذا وصلنا لأولى مرسى من مراسي كلاتيرة المسماة بابليمس[50] وهي مرسى حربية حاصنة وأَلْفَيْنَا فيها عددا كثيرا من المراكب التجارية وغيرها مما لا يسع بيانه كما بها بعض المراكب الحربية وبالمغرب منها مراسي ثلاثة أصغر منها، الأولى تسمى شلطان والثانية تسمت "دي البرط" والثالثة تسمى "سْطَنَ هَوْصَ"[51] وحراثتها وقتئذ لا زالت مخضرة كوسط الربيع عندنا بالمغرب مع أنه أواخر شهر ينيه[52] العجمي وبمجرد ما أرسينا بها صعد عندنا الكبيطان موصلي[53] رئيس المدرعة لابسا الكسوة الرسمية لأداء مراسم السلام نيابة عن ميرانط[54] البحر الكبير. وقد وضع هذا ألبا كبط بالمرسة المذكورة من الركاب الإنجليزيين وبعض ملوك الهند ومهرج مع كُبَرَائِهِم وسفير الدولة الأفغانية الإسلامية، وعند الزوال لبسوا الملابيس[55] الرسمية، كل على زي أرضه، ومن زي أهل الهند أنهم يتحلون بحلي النساء بالجواهر الرفيعة والأحجار النفيسة ومن جملة ملوك الهند المشار إليهم امرأة مسلمة ملكة على بعض جزور[56] الهند على وجهها قناع وجميع من ذكر كله ورد بقصد حضور رسم التتويج ومن جملة ما أنزله الباكبط المذكور بالمرسى المذكورة ماية صندوق[57] مملوءة ذهبا ما بين قطع ومسكوك مضروبة بجزيرة[58] استراليا داخل كل صندوق بتقريب خمسة ءالاف[59] إبرة[60] وكل جمعة يرد على هذه المرسى باكبط ويضع فيها القدر المذكور وزيادة عليه.

---

(50) (Plymouth) والرحالة يستعمل للتعبير عن (إنجلترا) مرادفات عديدة مثل (كلاتيرة) و(اكلترة).

(51) (Austenhause Dealpart-Shetland).

(52) يونيو.

(53) يقصد أن أرضها ما زالت مخضرة.Moseley .

(54) رتبة عسكرية بحرية تعني: Amiral أو أمير البحر .Admiral

(55) كذا في النص أي الملابس.

(56) كذا في النص أي الجزر.

(57) مائة صندوق.

(58) يقصد قارة أستراليا.

(59) أي آلاف.

(60) الإبرة تحريف ل: .livre

وفي الساعة الواحدة من يومنا هذا أقلع بنا قاصدا مرسى اللندرة(61) ولما قربنا لمرساها أتحف السفير رئيس ألبا كبط وخليفته بتحفة مناسبة كما أتحف المستخدمين به بدراهم ذهبية كل واحد منهم بما يناسب وَضِيَفَته(62) وفق العادة الجارية.

وفي الساعة الثالثة مساء يوم الجمعة(63) حللنا مرسى اللندرة(64) حلول حفظ وسلامة فإذا هي مرسى عظيمة وفيها من المراكب التجارية والحربية والبابورات(65) الصغار المعدة لإدخال البابورات والمراكب للمرسى ولجر القوارب مالا يحصى كثرة، وما نزلنا بالدكس(66) أعني "المون" إلا بعد ساعة لكثرة البابورات الداخلة والخارجة ولما نزلنا بـ"المون" سرنا خطوات قليلة فركبنا إحدى حافلة بابور البر ثم قفل بنا مسرعا إسراعا لا يتمكن الإنسان معه من النظر إلى الأشياء القريبة على حقيقتها لأنه يقطع ثمانين ميلا في الساعة الواحدة، وبعد سير نصف ساعة نزلنا في إسطيشن(67) أعني موقف بابور البر وركبنا في عربية فصارت بنا نحو ساعة فوصلنا إلى الدار المعدة لنزولنا الكائنة بحومة تسمى جمسط السكوير(68) نمرة(69) أربعة وسبعين، وهي من الجهات المعتبرة عندهم هنالك لا يسكنها إلا الأعيان، وعادتهم أن حارات الأشغال والحوانيت والمخازن لا يسكنها إلا عامة الناس، وجهة مساكن الأعيان لا يكون إلا خالية من جميع ذالك(70)، وجل بناء هاته البلاد من الأجور إلا قليلا من الحجارة المنجورة وعامة دورهم ذوات طبقات

---

(61) لندن.

(62) كذا في النص. أي وظيفته.

(63) 27 يونيو.

(64) أي لندن.

(65) الكلمة مستوحاة من vapeur أي البخار الذي كانت تسير به السفن (ألبا بور).

(66) Deck أو Mole أي رصيف الميناء.

(67) Station أو محطة القطارات أو السفن باللغة الإنجليزية.

(68) James Square.

(69) تحريف للكلمة الأجنبية Numéro أي رقم.

(70) كذا في النص. أي كذلك.

أربع والخامسة السفلى تحت الأرض إذ كل دار منها في الغالب تجد على بابها دربوزا[71] من حديد خارجا عن حائط الدار وفيه درج للدار السفلى المعدة عندهم للطبخ والأشغال اللازمة والخاص منها ذو طبقات عشرة إلى أربع عشر بالطبقة السفلى وأكثر طرقها في عرض العشرين ذراعا بعضها مر صفا بقطع من الخشب في شكل الحجارة وذلك لقلة الدوي وفقدان فرقعة العربيات.

وفي هاته البلدة عدة (لميدات) أي حدائق كبيرة متسعة جدا بل لكل حومة حديقة صغيرة خاصة بأهلها ويخترق بهذه المدينة النهر الكبير المشهور "بالتمس"[72] تسافر فيه السفن الكبيرة وعليه عدة جسور بعضها من بناء وبعضها من الخشب ومنها قنطرة الحديد التي لا أعمدة[73] لها بل أحد طرفيها على ضفتي النهر ووسطها معلق بقضبان من حديد وسلاسل ممتدة إلى الضفتين يرفع وسطها بتلك السلاسل عند إرادة فتحها ثم تسد بأسرع حركة ومناولة كما تفتح كذلك وهي من أعجب ما يرى، وقد خرقوا تحت بعض جهات هذا النهر طريقا يمر فيها بابور البر تحت الماء وفوقه تمر المراكب البحرية وفوق الوادي قنطرة تمر عليها العربيات والناس والدواب وفوق ذلك كله جسر يمر عليه بابور البر[74] أيضا فصار مجموع طرق الاستخدام أربعة كما علمت ويشقها نهر صغير يسمى بنو ويرا[75] أعني الوادي الجديد على ثمانية وثمانين ميلا من المدينة والميْل في اصطلاح الإنجليز عبارة عن سبعة عشرة ماية يرضة[76] (1700)، وماؤه يجتمع من عدة عيون ويصب في صهاريج ومنها يجري على بسيط الأرض في قواديس[77] جديدة حتى يدخل لجهة من جهات البلاد فقط وباقي الجهات يجري لها من محل آخر وينقسم

---

(71) الدرابزين.

(72) Thames.

(73) يقصد ALBERT Bridge.

(74) أي القطار، وهو من (البابورات) المشار إليها سابقا سواء تعلق الآمر بالسفن أو القطارات.

(75) (New wear) ولعله يقصد new river أي الوادي الجديد.

(76) مقياس إنجليزي يعادل تقريباً: 0,91م.

(77) جمع قادوس أي مواسير المياه.

على بعض ديارها وبساتينها وحدائقها، ومدة العمل في جلبه لها إحدى عشر سنة وذلك من عام تسعة وستمائة وألف مسيحية إلى عام عشرين، وقدر ما خرج صار عليه نصف مليون إبرة، ثم إن هذا الصاير وزع على خمسة وسبعين تاجرا كل واحد منهم نابه ستة آلاف إبرة وكل قسم من هذه الأقسام يساوي الآن لصاحبه ماية ألف أبْره[78]، وأعظم مكان في (ألأَنْدَرة)[79]هو مركز أشغال التجارة الكبرى وهو طريق عظيم به ديار ومخازن وحوانيت السلع، ومن جملة ما بهذا المركز دار بنكة المخزن[80] ودار حاكم البلد ودار البليسية[81] وقريب منها دار ضرب السكة وبطرق هذا المحل من الازدحام وأصوات العجلات ما يحير العقل ويتعب النظر. وفي بعض جهات نهر التيمس موضوع عمود حجر المسمى بالمسلة، وهو قطعة واحدة من أعاجيب الدنيا لم أتحقق قدر طوله، وقد صرف على جلبه من الإسكندرية أموال باهضة وعلى طرف هاته البلد مصابيح من الأضواء الكازية[82]، والكهربائية ما لا يحصى كثرة وكان الليل بها نهارا، وعلى كل مركز من الطرقات ورديات من البوليس وهو صنف من المخزنية يتميزون من العسكر بكسوة خاصة لا يحملون من السلاح إلا الكوابيس[83] مستورة تحت لباسهم للاحتياط وهو قسمان، قسم ظاهر لابس لباسا رسميا يعرفه كل واحد، وقسم آخر خفي عيون، وأما العربيات[84] التي في هاته البلدة فحدث ولا حرج ومن ضوابط استخدامها أنهم يجعلون على كل واحدة منها نمرة مركبة من واحد وهلم جرا. وقد رأيت مرسوما على واحدة منها نمرة تزيد على الستين ألف[85] عجلة واسم صاحبها، ونمرة عجلته مرسومة في

---

(78) كذا في النصّ أي إِبْرَة.
(79) أي "لندن".
(80) بنك الدولة او البنك المركزي.
(81) تحريف لـpolice أي مقر الشرطة.
(82) الأضواء الصادرة عن الغاز (الكاز).
(83) ج وردية (مصرية) أي فرقة الحراسة. والكوابيس تعني في هذا السياق المسدسات.
(84) نطق دراجي للعسس أو لمخزنية.
(85) المقصود العربات على اختلاف أنواعها.

قطعة من نحاس معلقة على صدره، ولذلك فوائد ونتائج، وهذه العجلات على أربعة أنواع، الأول من النوع المعتاد الذي يجره الخيل، وهو أكثرها، والثاني يسير بالقوة الكازية، الثالث يسير بالقوة الكهربائية، والرابع يسير بالقوة الكهربائية أيضا، إلا أنه بواسطة اتصال قضيب من حديد منه يسير إلى الأسلاك الكهربائية الممتدة بالطرق وكلما امتد سار معه، وهذا مقصور على الطرقات الطويلة التي خط السير فيها مستقيم[86] ومن الحزم الذي ينبغي للراكب فيها أن يقيد في كناشه عند ركوبه نمرتها عسى أن يقع له من الآفات ويحتاج لرفع نازلته لدار البوليس فيجد النَّمْرَةَ[87] مقيدة عنده ليعرف بها رجال البوليس كي يسهل عليهم معرفة صاحب النمرة[88]. ومن الآداب في ركوبها أن يجلس كبير المرتبة مواجها للفرسين الذين[89] يجرانها ومن يليه في المرتبة يجلس عن يمينه والثالث والرابع في المرتبة يجلسان أمامه، وفي كل حومة من البلد موضوعة آلة عجيبة تجر بالخيل كالعجلة معدة عندهم لإطفاء النار بسرعة متى شب الحريق في محل، ومن العوائد الجارية عندهم بخزائن البيع والشراء أنه إذا اشتريت منها مقضيات ولو قدرماية[90] ألف إبرة لا تتكلف بحمل ما اشتريته بل تعلم البائع لك باسمك وباسم محل نزولك ونمرته واذهب لغرضك مطمئنا من ذلك بحيث لا تجد ذلك إلا وصل في الحفظ والأمان.

وبهذه البلدة دور كبير للبيع والشراء يصعد لطبقاتها بالمكينة[91] إلا وأنت في الطبقة التي تريد الصعود إليها.

وبالجملة فقد انفردت (اللندرة) على مدن قطر المعمورة بشدة الحركات في أشغال التجارة، وقدر سكانها على قدر ما يحررونه في هذا التاريخ هو

---

(86) يقصد الترمواي.

(87) أي الرَّقْم.

(88) الرقم.ج. نمرات (تحريف للكلمة الأجنبية .numero

(89) كذا في النص أي اللذين.

(90) أي مئة.

(91) الآلة machine أي المصعد.

ما يقارب من ستة ملايين نسمة، ويرى مصدق[92] ذلك في الطرقات والأسواق والحدائق سيما في محطة طرق سكة الحديد التي هي مبسوطة في الأرض كالجداويل[93] متفرعة إلى جميع الجهات وبابورات البر بها صادرة واردة عليها ليلا ونهارا بحيث لا يسافر الإنسان بأحدها ولو ساعة إلا وتمر عليه عدة بابورات البر ما بين صادر ووارد وكلها في الغالب مشحونة بالركاب والسلع وغير ذلك. ويتحير العقل كيف لا تقع بينها مصادمة بسبب غلط من سلوك بعضها في طريق غيره، ولاتخلوا[94] هاته البلدة غالب الأحيان صيفا فأحرى فصل الشتاء من كثرة الغيم والضباب وكاد المطر لا يفارقها وقد يشتد الحر في بعض الأوقات ولاكنه[95] لا يتجاوز اليوم الواحد إلا ويعقبه سحاب ومطر وبرد فسبحان القادر على ما يشاء (رَجْعٌ)[96].

وفي الساعة العاشرة صبيحة يوم الأحد توجهنا لقصر السلطان المسمى "سر جيمس بلاس"[97] بقصد رؤية هيئة عساكر عسس القصر المذكور فإذا هي على غاية من النظام العسكري مرونقة اللباس في زي مخصوص بها و تمييزا عن غيرها من سائر العسكر ومن زيهم أن قلانيسهم سود طوال نحو شبرين على هيئة قربة صغيرة متخذة من جلود الدب وتتكلف بثمن غال، ورئيس هذه العسة[98] وكبيرها ولد وزير الخارجية الحالي.

وفي الساعة الثالثة من عشية يومنا هذا ذهبنا لبستان الوحوش[99] المستجلبة من سائر الآفاق فإذا هو جنان كبير متسع جدا محتو علي أشجار

---

(92) مصداق ذلك.

(93) أي الجداول.

(94) كذا في النص أي ولا تخلو.

(95) كذا في النص أي "ولكنه".

(96) يستعمل الرحالة هذا الاسلوب كمحطة سردية لوصل السابق باللاحق أحيانا، وأحيانا أخرى لخلق فضاءات ترويجية لمتابعة القراءة. انظر عبد الرحيم مودن. أدبية الرحلة. دار الثقافة.1996.ص.

(97) st jame's place. أي سير جيمس.

(98) رئيس الحرس.

(99) أي حديقة الحيوان.

ومياه ومحلات معدة للجلوس ولشرب القهوة، فرأينا فيه من أنواع الحيوانات البرية والبحرية وأنواع الطيور على اختلاف ألوانها وخلقتها البديعة على ما لا يكيف، ومن أغرب الحيوانات التي رأيناه ثمة بمرسى البحر في صهريج ماء صورة وجه لها شبه بصورة وجه الفرس وله صوت عال مزعج وإذا قوبل بمأكول من لحم ونحوه خرج من الماء لشافر[100] الصهريج ليأكل ما يلقى إليه وهو سريع الحركات قوي البنية، ومثله بقر الماء فإنه إذا قوبل بمأكول ولو من حشيش خرج من الصهريج ليأكل ما يلقى إليه أيضا، وصورته تشبه صورة البقر البري. ومن أعجب ما رأينا من الحيوانات البرية الكركدان[101] وهو على قدر بقر الجاموس ولكنه ضخم الجثة كلها معمورة[102] بغداد لحمية. وقد أخبرنا المكلف بهذه الحيوانات أن الرصاص لا يؤثر فيه إلا في محل مخصوص بين أذنيه وله ثلاث قرون، اثنان صغيران بلصق أذنيه والثالث كبير في وسط هامته وبه يحارب الفيل لأنه عدو له ويأكل الحشيش ويجتر كالبقر. وأخبرنا أن عمره أربعون سنة. ومن أغرب ما رأينا سلحفات[103] برية عظيمة الخلقة لها من العمرماية سنة. ومن أعجب ما رأينا بالمحل المذكور نوع من البغال أصلها من بلاد الحبشة فوق الحمار و دون البغال وهي مخططة كلها خط أبيض وخط أسود. وكل خط منها في عرض إصبعين[104]. وبه جملة من الأفاعي الضخمة التي تبتلع الجدي في لحظة .

كما رأينا فرسا جامعا علوه على قدر الكبش، إلى غير ذلك من الحيوان الغريب الذي لا نقدر على عده ووصفه، فتبارك الله أحسن الخالقين والكل محتفل بتربية وتدبير عيشه وهيئة مختصة به مما لابد منه على حسب ما هو معتاد في قطره من إدامة حر أو برد وغير ذلك مما يحفظ حياته.

فالحيوان الكبير في صهاريج ماء والصغير منه في أحواض من الزجاج

---

(100) شافر: من الشفير أي جانب الشيء او حافته.
(101) الوعل.
(102) أي ممتلئة.
(103) أي سلحفاة
(104) حمار الوحش.

وهاكذا[105] وبالجملة فإن ما رأيناه بهذا الجنان من غريب الحيوانات يتوقف على كتاب حياة الحيوان الموضوع في هذا الشأن[106] .

وفي الساعة الثامنة صباح يوم الاثنين توجه كاتبه سامحه الله نيابة عن السفير صحبة المكلف بنا وهو الكبير مسطر اكلايكر[107] والترجمان اللبيب مسطر اروين[108] بقصد رد البزيطة لبعض كبراء الدولة وغيرهم من سفراء الأجانب ثمة والعادة عندهم في ذلك أن يصل الزائر إلى باب دار المزور ويدفع طرخة[109] أي بطاقة قد كتب فيها اسم الزاير[110] واسم دولته كفلان سافر[111] الدولة الفلانية ثم يتوجه إلى دار أخرى وها كذا إلى أن يأتي عن آخرهم. وفي هذا اليوم نفد لنا جانب المخزن[112] عجلتين بهما متعلمان[113] لابسان لباسا رسميا بقصد أن نركبهما للاستراحة ولمحل الفرجة وغير ذلك لسائر السفراء، وبذلك يمتاز السفير عن غيره. وفي هذا اليوم صدر لنا تنبيه للتأهب للملاقات[114] مع حضرة السلطان صباح يوم الثلاثاء كما نتأهب للعشاء عنده تلك الليلة بعد أن وردت علينا يومه عدة أوراق رسمية بكيفية الدخول لمحل التتويج مع رسم صورة المائدة المعدة للعشاء عنده تلك الليلة ليكون السفير عالما بمحل جلوسه على المائدة، وعند الساعة العاشرة صبيحة يوم الثلاثاء بلغنا بالتأكيد أن حضرة السلطان منحرفة المزاج فأوجب الحال أن نتأخر عن ذلك حتى يظهر. وفي الساعة الثالثة من يومنا هذا توجهنا لمقابلة

(105) كذا في النص.
(106) ولعله يشير الى كتاب أو مصدر هام هو كتاب الحيوان لـ (الدميري)1341-1405 م و هو صاحب موسوعة شهيرة في علم الحيوان معنونة ب (حياة الحيوان الكبرى).
(107) G.Laker
(108) Llwyn.
(109) الطرخة : أي البطاقة أو.card
(110) أي الزائر.
(111) أي السفير.
(112) أي السلطة.
(113) أي مشتغلان بهذا المكان.
(114) أي الملاقاة.

اللورد لانسدون[115] وهو وزير الأمور البرانية بدار إدارة الأشغال الخارجية فقابلنا بما لا مزيد عليه من الترحيب والتعظيم والبشاشة وسأل عن الحضرة الشريفة أعزها الله ووزرائها حفظهم الله فأجيب عن ذلك كله بما اقتضاه الحال. وهذه الدار متصلة بدار إدارة وزير المستعمرات وهي من أعظم ديار اللندرة بناءا إذ كلها مبنية بالأحجار المنجور المنقوش على شكل لطيف وصحنا متصلا جدا وكل جهة منها مقصورة على أشغال إيالة من المستعمرات مرسوم على حيطان تلك الجهة تماثيل وصور من الرخام على زي أشخاص تلك الإيالة بقصد تمييز أشغالها عن غيرها. وفي الساعة الواحدة من يوم الاربعاء توجهنا لقصر السلطان بقصد العياذة، وكيفيتها أن يضع العائد خط يده في كناش مخصوص بذلك موضوعا بباب القصر المذكور تحت يد المكلفين به وبعدما يجد الراحة تجرد تلك التوقيعات وتعرض عليه ليعلم من عادة من الكبراء والأعيان، وقد يجتمع كل الجم الغافر[116] من العامة على حريم القصر ليتطلعوا[117] على خبر حاله. وكل يوم يخرج من القصراربع[118] إعلانات على لسان الأطباء الخمسة المخصوصين لمعالجة السلطان بالحالة التي يكون عليها في ذلك اليوم من راحة أو زيادة مرض. وينتشر ذلك في البلد وغيرها. ومن العياذة[119] توجهنا للوقوف على الاصطبل السلطاني فإذا هو اصطبل كبير متسع جدا في غاية من النظافة والإتقان وبه مائة وعشرون من الخيل العتاق وهي على أنواع أربعة بركية وكمرية ودهمية وبلقية[120]. فمنها ما هو معد لجر عربيات السلطان للاحتفالات الرسمية ومنها ما هو معد للمسابقة ومنها ما هو معد للصياده[121] الي غير دلك من الترتيب. وكل

(115) LORD Lansdowne أي وزير الخارجية.

(116) يقصد الغفير.

(117) كذا في النص. والمقصود ليطلعوا.

(118) كذا في النص.والمقصود أربعة إعلانات.

(119) كذا في النص و القصد العيادة بدون ذال معجمة.

(120) بركية: بيضاء ذات نقط سوداء كمرية: سمراء دهمية: سوداء بلقية: بيضاء

(121) حفلات الصيد.

واحد منها له محل منفرد به عن غيره ومعه معدة[122] من الماء الجاري ليشرب منها. وهناك محلات معدة لوضع سلاحاتها الرفيعة المزخرفة بالذهب والفضة. وهناك محلات أخرى أيضا موضوعة بها عربيات ملوكية من الطراز الجديد أنفقت عليها أموال باهضة[123] منها واحدة في شكل غريب من العمل القديم[124] قد مر عليها نحو مائة وأربعين سنة قيمتها ستة عشر آلاف إبرة.

وفي الساعة الثالثة من يومنا هذا ركبنا عجلة وسرنا نحو نصف ساعة ثم نزلنا باسْطِيشَنْ أعني موقف بابور البر[125] فركبنا حافلة من حافلاته وأقلع بنا إلى أن وصلنا للمحل المعروف عندهم بسطوار[126] وهو عبارة عندهم عن مخزن كبير متسع جدا متقن البناء محكم الصنعة سقفه مقبي[127] بقضبان حديد بينها قطع زجاج غليظ على شكل لطيف متخذا عندهم سوقا لبيع بضائع نفيسة وتحف غريبة وحوله حديقة ذات أشجار ومياه وبها مواضع معدة للجلوس ولشرب القهوة وشبهها .

ومنه توجهنا للقشلة[128] النازل فيها شرذمة من العسكر و الطبجية[129] من سائر المستعمرات الإنجليزية والمسلمون وغيرهم. وكل فرقة منها لابسة زي وطنها، ومنهم فرقة مكشوفون الرأس لأنهم يوفرون شعر رؤوسهم فيقوم لهم مقام القلانس وشبهها وهم متفقون بغلظ الشعر وخشونته. ومنهم فرقة حفاة لا يتمكنون من المشي بالنعال لتطبعهم بذلك وألوانهم مختلفة فمنهم الأسود، ومنهم الأحمر. وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس توجهنا

(122) قربة ماء.
(123) أي باهظة.
(124) أي من التحف القديمة.
(125) فابور منvapeur أي البخار. ويتعلق الآمر بهذه الطاقة المؤثرة في القرن 19 لتسيير البواخر والقطارات.
(126) Store
(127) مغطى على شكل قبة.
(128) ثكنة عسكرية.
(129) تركية (سلاح المدفعية).

لدار تسمى عندهم مدام طوسي[130] متخذة عندهم لوضع صور الملوك والوزراء والحكماء والكبراء الأقدمين من دولة الإنجليز وغيرهم وجل أصحاب تلك الصور أموات وبعضهم أحياء من الموجودين الآن وكل صورة من تلك التماثيل في غاية الإتقان والتشخيص مصنوعة من الشمع وغيره حتى يتوهم الرائي أنها أحياء، ومن أعجب ما رأينا هناك صورة رجل ألماني طويلا جدا طوله ضعف قامة الرجل كما رأينا صورة رجل آخر قصيرا جدا طوله نحو ذراع. وهناك تماثيل مضى لأصحابها نحو تسع مائة سنة، وفي الطبقة السفلى من هذه الدار تماثيل من الرجال والنساء الذي اقتص منهم بجرائم ارتكبوها. فمنهم من قطع رأسه ومنهم من هو مهيأ للقتل، ومنهم من هو ملقى على الأرض مقتولا. وهناك تماثيل الحروب الهندية وغيرها مما يطول شرحه.

والقاعدة عندهم عند إرادة دخول الشخص لهذا الدار يشتري كناشا صغيرا يباع في وسط الدار بثمن تفيه[131] يتضمن تراجيم تلك الصور لأن كل واحدة منها مرسوم أمامها نمرتها كما هي مرسومة بالكناش المذكور ليهتدي به الواقف على ذلك حتى يعرف صاحب تلك الصورة وما يتعلق به، وفي الساعة الثامنة ليلا من يومنا هذا ذهبنا للطيطر[132]المسمى باليس Place[133] وهو عبارة عن محل الفرجة فرأينا فيه من عجائب اللاعبين السامرين ما لا يسع بيانه ومن ذلك لعب صبيان (الجابون)[134] فرأينا صبيا منهم سداسي السن يرتفع في الهواء والآخر مستلق على ظهره يلقاه ويرفعه برجله كلما نزل من الهواء على كيفية بحيث لا ينزل مرة خارجا عن قدمي المستلقي إلى غير ذلك من أنواع اللعب التي تحير العقل وتتعب النظر، والقاعدة عندهم في الطيطروس أن مريد الدخول إليه يشتري تقييدا متضمنا

---

(130) Madame Toussand's.

(131) يقصد: تافه او بسيط والأمر يتعلق ب"كاتلوج" الصور.

(132) مرادفة للمسرح أو الطيطروس.

(133) place of west minister.

(134) اليابانيون البهلوانيون في السرك، علما أن الكاتب يقصد السرك قبل أن يقصد المسرح.

(135) البرلمان الإنجليزي.

لجميع أنواع اللعب تلك الليلة المهيأة ليكون الإنسان متهيئاً لها على الإجمال قبل الشروع فيها .

وفي الساعة الرابعة عشية يوم الجمعة ذهبنا للديوان الاجتماعي الرسمي المسمَّى بدار مجمع نواب الأمة(135) على مصالح الرعية يعني يحضر بها نائب عن كل إيالة أو عمالة وكيلا عنها في جميع مصالحها ودفع مضارها، وهي دار كبيرة جدا متقنة البناء محكمة الصنعة مضى لبنائها الأخير عقب احتراقها نحو الخمسين سنة، واختطاط أساسها الأول ألف عام، ولا زال محلٌ بها على الاختطاط الأول وقدر الأعيان الذين يجتمعون بها ما يقرب للسبع مايه نفر، وبها عدة صور من بهر في السياسة من الأقدمين من الرخام المتقن التمثيل كما هو مرسوم بها هيئة الحرب التي وقعت بينهم وبين بعض الدول سابقا، وهذا المجلس مؤلف من فرقتين، فرقة في جانب المخزن يحضره كُبراء الدولة والوزير المناسب وصيفته(136) لتلك المسرءلة(137) التي تقع المفاوضة فيها، فإن كانت من أشغال الداخلية فيحضر وزيرها وإن كانت من قبيل أشغال الخارجية فيحضر وزيرها أيضا وهاكذا(138) العمل في كل قضية، والفرقة الأخرى مقابلة لهم تسمى بحزب الأحرار، وكيفية المفاوضة عندهم في سائر القضايا أن يقوم خطيب من إحدى الفرقتين يخطب على رءوسهم(139) بورقة بيده متضمنة لما دار في المسرءلة ثم يقوم خطيب من الفرقة الأخرى مقابلا لها أو مسلما بحسب ما يقتضيه المقام، وفي صدر هذا المجلس محل مرتفع على هيئة المنبر يجلس (رئيس)(140) المجلس وعلى رأسه قلنسوة بيضاء يتميز بها عن غيره وأمامه كتاب يرسمون به ما يتلقونه من أفواه الخطباء في سرعة باهرة، ثم يقوم هذا الرئيس ويخطب خطبة متضمنة لما ترجح عنده من الخلاف الواقع بين الفرقتين ويقيم على كل فصل من

(136) أي: وصفته.

(137) أي المسألة.

(138) أي: وهكذا.

(139) أي: رؤوسهم.

(140) سقطت سهواً أثناء النسخ.

الفصول راجحة[141] وبراهين قاطعة تشهد على ترجيحه حتى تكون المسألة واضحة كالشمس في الظهيرة وقريب من هذا الإيوان محلات رفيعة معدة عندهم للأكل والشرب ولترويح النفس وكلها مشرفة على النهر التيمس، وبالقرب من ذلك دار رئيس المجلس المذكور. وفي الساعة العاشرة من يوم السبت توجهنا لمرسى بورط[142] سميد على طريقة السكة الحديدية وسرنا نحو ساعتين ونصف، وكل هاته الطريق على جوانبها أجنة وحراثة وبناءات ومحطات السكة فوصلنا إليها فإذا هي مرسى حربية متينة الحصون وبها عدة ترسنات أعني الحياض التي تنشأ فيها المراكب الحربية وموضوع بها كثير من إقامتها وآلاتها مما يقضي منه العجب وبمجرد وصولنا إليها تلقانا فسيال[143] من فسيالات البحر كلفه بنا الميرانط[144] الكبير فهيأ لنا عربية وسارت بنا إلى الدكس أعني المون فركبنا منه في مركب صغير حربي متحف الغاية وسار بنا يطوف على المراكب الحربية الإنجليزية على حسب ترتيبها، وما نمر بمركب منها إلا ويؤدي مراسم السلام بالموسيقى، وقدر ما كان موجودا منها ما يزيد على المايتي مركب كما بهذه المرسى عدة مراكب حربية خشبية من العمل القديم، ولا زالت في غاية الصيانة عندهم لتعليم المتعلمين، ثم رجعنا لمحلنا مع بابور البر أيضا.

وفي الساعة الثامنة ليلا من يومنا هذا ذهبنا للطيطر والمسمى أنبار[145] ورأينا فيه من العجائب والغرائب ما لا يكيف، وقدر ما كان فيه من المتفرجين نحو ثلاثة آلاف نسمة. وفي الساعة الثالثة من يوم الاثنين توجهنا صحبة بابور البر وسار بنا نحو ثمانية أقسام فوصلنا إلى مدينة ونزة[146] التي بها قصر السلطان الذي يسكنه في بعض الفصول فإذا هو قصر كبير متسع

---

(141) ربما سقطت سهوا من النسخ، كلمة أدّلة.

(142) يقصد مرسى .ports mouth

(143) تحريف لكلمة officier أي ضابط في الجيش.

(144) الأميرال أو أمير البحر.

(145) انبار تحريف لـ .Empire

(146) أي .Windosor

جدا فائق الإتقان محكم الصنعة والتزويق مزخرف حيطانه بأنواع الذهب والفضة وجميع أبوابه كلها منقوشة مزخرفة بالتذهيب والتفضيض وبه من الأثاث الظريفة والأواني النفيسة والفرش الحريرية والموبرية[147] الملونة مع الزرابي التركية والهندية العريضة وأصناف الفخار الصينية العتيقة ما لا يوصف كثرة، ومن جملة ما رأيناه منه كموضة[148] بديعة الصنعة من العمل القديم تساوي نحو خمسة وأربعين ألف إبرة[149]، وفيه عدة قباب كبار منها مربع الشكل ومنها مستطيل، كل حيطانها ملبسة[150] بأنواع الديباج المرقوم[151] باليد على شكل لطيف فائق في الحسن والجمال وكل واحدة من هذه القباب توصف بلون فروشها. فان كانت مفروشة باللون الأخضر يقال لها القبة الخضراء وإن كانت ملبسة باللون الأحمر تسمى بالقبة الحمراء وهاكذا وكل قبة منها مخصوصة بغرض فمنها ما هو معد لجلوس الملك ومنها ما هو معد للمشاورة مع كبراء الدولة إلى غير ذلك من أنواع الترتيبات الخاصة التي يطول شرحها، وقد وضع بواحدة منها كرسي الملك المرصع بالحجارة النفيسة من البرنيط[152] أي الحجر الأبيض النفيس الذي يعسر تقويمه، وبعض الاماكين[153] من هذا القصر قد خصصت بأنواع التحف النفيسة والذخائر الغريبة والأشياء العتيقة كالسلاح والرماح وتماثيل صور بعض الملوك السابقة وتشخيص ما وقع بينهم وبين بعض الدول من الحروب وقد فتح على كل ربع منه سراجم تشرف على رياضات[154] ذات مياه متدفقة من خصات[155] رخامية بديعة الشكل محفوفة بأصناف الأشجار

(147) ثوب وبري رفيع يستعمل في الأفرشة.
(148) Commode دولاب مصنوع بأسلوب تقليدي أو تراثي
(149) الجنيه الإسترليني
(150) مكسوة.
(151) المطروز
(152) لعله يقصد الجرانيت أو الرخام الجيد.
(153) الأماكن.
(154) جمع رياض أي حديقة.
(155) جمع خصة أي نافورة.

وأنواع الأنوار تفرعت فيها طرق على أشكال لطيفة، وعدة درجه الذي يصعد عليها لأعلاه مائة وثمانون درجة، وبالجملة فإن هذا القصر من أعظم القصور الموجودة في أقطار المعمور وبالقرب منه غيضة كثيرة الأشجار يسرح فيها عدد وافر من الغزلان وبقر الوحش والأرانب كالنمل(156) وكل ذلك مقصور على صيادة الملك في بعض الأوقات. وبتلك الغابة ديار المكلفين بحراستها وتفقدها.

وفي الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء توجهنا لمعرض جيش المستعمرات خيالة وعسكر وطبجية واصطفت صفوفها في فضاء متسع كل جنس إيالة منفرد على حدته في صف لابسا كسوة زي وطنه يمتاز بها عن غيره، ثم جاءت قرينة السلطان في عربيتها ونجلها ولي العهد وراءها راكبا على فرسه وسائر العائلة الملوكية، ومن جملتهم أخو السلطان الذي هو كبير على جميع العسكر.

وكان الجمع الغفير من العامة وغيره حاضرا هناك بقصد الفرجة والكل رافع صوته بجميل الثناء والآداب اللائقة وسارت السلطانة هي الأولى في عربيتها وولدها المذكور خلفها راكبا فرسه وسائر الكبراء ووراءهما يمران بين صفوف الجيش صفا بعد صف إلى أن أتيا على آخرها. هذا ونغمات الموسيقى تصدح بالألحان الإنجليزية وقدر تلك الجيوش المستعرضة ما ينيف على الخمسة والعشرينماية نفر، ثم بعد ذلك نزل ولي العهد عن فرسه وأحضر بين يديه نحو الخمسة عشر عسكريا ممن حضر حرب الترنسفال(157)، فنودي على واحد منهم فتقدم إلى والي(158) العهد وصار أحد كبراء الخيالة يعرف بذلك العسكر ويخبر عنه بما ظهر من بسالته وشجاعته ومزيته التي ظهرت في هذا الحرب الترنسفالي حتى فاق بها غيره من أقرانه فعند ذلك يخطو إليه ولي العهد خطوة فيعلق له على صدره نيشانا من رتبة أمثاله ويصافحه عقب

---

(156) تشبيه يدل على الكثرة.

(157) The Transuaalwar . حرب الترنسفال .

(158) يقصد ولي العهد.

التعليق فيؤدي العسكري ما يجب عليه من الآداب اللائق بالمقام ويرجع لمحل وقوفه ثم يصفق الحاضرون على عاداتهم استحسانا وسرورا بتعظيم الرجال أو في المزايا ويأتي عسكري آخر فيفعل معه ولي العهد مثل ما فعل مع الأول حرفا بحرف وهكذا إلى أن يأتي عن ءاخرهم(159) غير أن البعض منهم مكنه من نشانه(160) في حكه(161) من غير تعليق، ولعل مزيته أدنى من مزية الذي علق له وتم هذا المعرض عند الساعة الواحدة. وفي الساعة الثامنة من يومنا هذا توجهنا صحبة بابور البر وبعد سير ساعة وكسر(162) وصلنا لفبريكة(163) المدفع فإذا هي عظيمة متسعة جدا طولا وعرضا وهي على أربعة أقسام، الأول وهو أكبرها معد لإفراغ المدفع وسبكه، والثاني لإفراغ الكور وتركيب تخليطته، والثالث لإفراغ القرطوس(164)، والرابع للنجارة كإنشاء الكريطات(165) ونحوها، وما كنا نصل من قسم منها إلى قسم آخر إلا راكبين في بابور البر صغيرا عندهم ثمة، وقد رأينا فيها عدة مدافع كبار من خمسين طونا في الواحد، ومعلوم أن الطون(166) عبارة عن عشرين قنطارا، وأما المدافع الصغار على اختلاف أصنافها فشيء كثير، وقد رأينا مدفعا من المدافع الكبيرة المحدث عنها معلقا في (البوجي)(167) عند خروجه من بيت النار وهو كالجمر ثم أطفئ في صهريج من الزيت مركبة من جملة أدهان ليطلى بدلك المدفع ثم بعد خروجه من الزيت يجعل في المخرطة ثم يدار عليه السلك في عرض غرفة ليلتحم بذلك شيئا فشيئا ثم يعاد إلى بيت النار ثم يطرق عليه ليلتئم ذلك السلك وهكذا العمل إلى أن يصل للنهاية

---

(159) آخرهم.
(160) نيشانه.
(161) علبة النياشين التي قدمت إلى الجندي.
(162) من الكسور بالمعنى الرياض أي: بعد ساعة وزيارة.
(163) معمل. بالإسبانية Fabrica
(164) تحريف لـ Cartouche أي الرصاص.
(165) الكريطات: عربات المدافع Cooch بالإسبانية.
(166) الطن منطوقا بلهجة الشمال الممدودة.
(167) الرافعة. بالفرنسية FaGRVE

المقصودة منه وهذا النوع عندهم أرفع وأوثق من الأنواع التي تفرغ دفعة واحدة.

والعجب كل العجب من الآلات التي تدخل في جوف المدفع لتشريطه متقنا حتى كأنه من خشب بالنسبة لتلك الآلة، فلا ترى إلا نشر الحديد خارجا من فمه كالنشارة[168].

وأما معمل مفراغ الكور[169] فإن تخليطه[170] الهند[171] والحديد والمذاب ينزلان كالماء من عنبوب بوط[172] كبير ويكب في بوط آخر للتصفية ثم يجري من ذلك البوط للقوالب ومباشرة ذلك بآلة ومكينات[173] عجيبة وأما معمل القرطوس فكثير المستخدمين به الصبيان لمناسبة في ذلك وكيفية العمل فيه أن أول ما يفرغ منه غشاؤه من النيكل على قدر حلقة الخياطة ثم ينقل لمكينة أخرى فيخرج منها في لحظة أطول مما كان، وهاكذا إلى أن يتم العمل فيه، وقدر ما يصنع منه في اليوم نحو مليونين.

وأما معمل الكريطات فبه من الآلات والحركات كغيره ما يحير العقل ويتعب النظر فترى الكريطة كأنها قطع من الخشب وبمجرد وضعها في المكينة تخرج مؤلفة متقنة التلحيم والصنعة، ومجموع ما في هذه الفبركة من المستخدمين خمسة وعشرون ألفا نسمة، وبعد استيفاء الغرض منها في الجملة رجعنا لمحل نزولنا بالسلامة. وفي الساعة العاشرة ليلا من يومنا هذا توجهنا لدار وزير الخارجية باستدعاء منه لمأدبة حضرها كل من السفراء والكبراء والأعيان حتى نسائهم وبناتهم وكلهن لابسات أحسن اللباس وعليهن من الحلي وحجر الزمرود الأخضر والربيل)[174] الأحمر وجوهر

---

(168) النشارة أي الأجزاء المتخلفة عن عمل الآلة.

(169) عتاد المدافع وعدته(الكرات الحديدية).

(170) مزيج.

(171) الحديد المهند أو الصلب.

(172) منBOTTE أي القناة الحديدية الشبيه بالحذاء الطويل ذي الرقبة.

(173) آلات.

(174) لعل الكلمة من Rubis أي الحجر الكريم.

المخرطة[175] ما يبهر، وعلى رؤوسهن تيجان من البرنيط[176] النفيس الذي يعسر تقويمه، وقد تلاقينا به وبقاعدة بيته فبشا ورحبنا بنا أتم ترحيب، وبعد ساعة ونصف خرجنا من عنده. وفي الساعة العاشرة صباح يوم الأربعاء توجهنا لمعرض الجيش الهندي من الخيالة والعساكر والطبجية فكان معرضه علي مقتضى الكيفية المتقدمة انفا[177] في معرض المستعمرة حرفا حرفا. وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس توجهنا لدار نجل السلطان وولي عهده البرنس ذي غال[178] فتلقينا به وبقرينته فرحبا ولاطفا في القول أحسن ملاطفة وسأل عن الحضرة الشريفة فأجابه السفير عن ذلك كله بأحسن عبارة ثم خطب السفير الخطبة المهيأة للاجتماع به فترجمت له وهو ينصت لها بسكينة ووقار، وبعد الفراغ منها ناوله السفير الكتاب الشريف بكلتي يديه مظروفا في غلافه الموبري مطروزا بالصقلي[179] ملفوفا في سبنية[180] من حرير فتلقاه منه ولي العهد بيده بغاية التعظيم والاحترام ثم أجاب عن الخطبة بما اقتضاه المقام، ومن الأدب المتعين عند سرد الخطب أنه مهما تلفظ القاري[181] باسم الملك المرسل أو المرسل إليه أو دفع أو قبض كتابا أحدهما إلا ويميل كل أحد رأسه إمالة ما تعظيما لاسم الملك أو كتابه، ومن الأدب أيضا المؤكد أن الحاضر مع الملك لا يبتديه بمد يده للمصافحة حتى يكون الملك هو المبتدئ وكذلك قرينته يسلك معها هذا الأدب ولابد أن يبدأ أن يظهر مصافحهما انطلاق الوجه مع ميلان الرأس ولزوم الوقوف في محله متأدبا من غير التفات حتى يؤذن له بالانصراف أوينصرف الملك.

وبعد نحو نصف ساعة خرجنا من عنده على أتم نشاط. وفي الساعة

---

(175) أي الجوهر الصناعي.

(176) القبعات النفيسة.

(177) آنفاً.

(178) أمير الغال.

(179) الخيوط الحريرية المذهبة المستوردة من صقلية.

(180) منديل حريري.

(181) القارئ.

العاشرة صباح يوم الجمعة ركبنا عربية وسارت بنا نحو ساعة فوصلنا إلى إسيطيشين فركبنا حافلة من الحفالات[182] التي يجرها بابور البر من المرتبة الأولى ذات الفروش الرفيعة ومن جملة من ودعنا عند الاسيطيشين أحد ولات[183] أشغال الخارجية نيابة عن وزيرها، ثم أطلق بابور البر بنا وبعد سير ساعة كاملة وصلنا لمرسى تيلبري[184] فركبنا بابورا صغيرا فوصلنا للباكبط المسمى الربية[185] أي بلاد العرب فإذا هو باكبط جيد مناسب لباكبط الباشا[186] الذي كان حملنا من جبل طارق من باب لا فرق.

وفي الساعة الثانية من يومنا هذا أقلع بنا بالسلامة وأنعم الله علينا بطيب البحر وليونته فكنا في غاية الراحة والحمد لله غير أنه اليوم الثاني[187] من سفرنا كثر الضباب علينا وتكاثف ودام اليوم كله مع جزء من اليل[188] حتى ضاقت صدور الركاب و قلق جل من في المركب حتى أمر الريس[189] بحريته بتهييئ القوارب مما عسى أن يطرأ من مصادمة البابور لمركب آخر فيقع ما يقع، وهاده[190] علة أعياهم علاجها وعجزوا وكثيرا ماتتصادم[191] المركبان مثل هذه الحالة الرهينة[192] فيهلك أحدهما بمن فيه أو هما معا، وقد كان ألهمنا الله سبحانه وتعالى لذكر اللطيف فتداركنا المولى جل جلاله بألطافه الخفية. إن ربي لطيف لما يشاء. وكم لله من لطف خفي .

وكنت رأيت في هذه الليلة في عالم النوم أثر إغاثة من أهل الله،

---

(182) الحافلات.

(183) كذا في النص أي ولاة.

(184) Tilbury.

(185) Arabia.

(186) Persia.

(187) يوافق 12 يوليه.

(188) أي: الليل.

(189) أي: الرئيس.

(190) هذه.

(191) يقصد يتصادم.

(192) أي: الراهنة.

رضوان الله عليهم، بحيث ما أكمل الليل حتى أتى المد بريح أجلت ذلك الضباب ومزقته شذر مذر.

وبالجملة فرءية[193] هذه الأمور فيها مواعظ وحكم لا تبصر، ومتعة للنفس لمن كان حظه النظر، وذلك كله من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته الباهرة. وفي الساعة الواحدة من يوم الثلاثاء ثاني ربيع الثاني[194] وصلنا لجبل طارق في حفظ وسلامة غير أننا لم ننزل إليه، وقد وجه لنا حاكم البلد مع قائد المرسى يستفهمنا هل لنا غرض في النزول للبلد ليتهيأ لاحتفال نزولنا على النسق السابق أم لا فأجبناه بالمجازات[195] على اعتنائه واخترنا التوجه لطنجة وانتقلنا من الباكبط إلى المركب الحربي، رويال صفران الذي كنا قدمنا فيه في الذهاب بعد أن أكرم السفير متعلمي[196] الباكبط وبحريته بدراهم ذهبية كل واحد منهم على قدر ما يناسب شغله وفق العادة الجارية. وفي الساعة الثالثة أقلع بنا من ثمة، وبعد ساعتين ونصف وصلنا ثغرنا السعيد المحروس بالله بخير وعافية لله الحمد والشكر أخيرا باطنا وظاهرا.

و هذا ما يسر الله جمعه في هذه الوجهة الميمونة حفظا لما اشتملت عليه هذه السفارة السعيدة مما ينبغي أن يحفظ ويعتنى به، و تنبيها لما يتهيأ في المستقبل بمثله ليكون على بصيرة مما في هذا التقييد كله وليقس ما لم يقل.

ولكل مقام مقال وذلك كله والحمد لله بوجود مولانا السلطان الأعظم والملاذ الأفخم سليل الملوك العلوين وتحفة الأمراء الهاشميين وأفضل من جلس على منصة التبريز مولانا عبد العزيز أعز الله به الإسلام دين وجعله أفضل من ملك استرعاه للمسلمين، أسعد الله أيامه، وأصلح الله على يديه البلاد والعباد وقطع بسيف عدله دابر أهل البغي والفساد ووفر حزبه وقوى

(193) أي: رؤية.

(194) يوافق 6 يوليه.

(195) أي المجازاة ويقصد الشكر.

(196) أي البحارة وعمال السفينة.

مدده وسدد أمره ونصر دعوته ولبى طلبته، ولازالت الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم القيامة بجاه جده عليه الصلوات والسلام.

وكان الفراغ من تبييضها فاتح جمادى الثاني سنة عشرين وثلاثماية وألف عام على يد جامعها العبد الذليل الفقير إلى مولاه الحسن بن محمد الغسال كان الله له وتولاه بمنه وكرمه آمين. وكان الفراغ من نقلها من خط مؤلفها قرب زوال يوم الأحد الثامن من محرم الحرام فاتح أربعة وعشرين وثلاثماية وألف بخط أقل العبيد عبد ربه عبد السلام بن محمد الخليع بالثغر الطنجي كلاه الله آمين.

تمت الرحلة

كشاف حضاري وفهارس

فهرس الأماكن الأجنبية

- أستراليا: وصفها الرحالة بـ (الجزيرة) وهي القارة المعروفة.
- أكلترة: وتعني (إنجلترا) أو بريطانيا العظمى. ويستعمل الرحالة، في رسمها، داخل النص أو ضاعا مختلفة فهي:
- كلاتيرة/ أكلترة/ انجلترا/ أكريت بريطن أي بريطانيا العظمى.
- أنْبَار: تحريف لـ: .Empire
- اسطن هوس، دار اسط : .Austen hause
- ألبرت بريدج: Albert Bridge: لم يذكرها الرحّالة بالاسم مكتفيا بوصفها بشكل مفصّل.
- بَشْكَاية: ـ BISCAY ـ بحر قريب من البرتغال
- برط سميد: PORT SMOUTH: ميناء عسكري بريطاني بمنطقة "هامبشير" يغطي مساحة هامة بجزيرة بورتسيا، مقدارها 219100هـ.
- بابلميس: تحريف للميناء الشهير .PLYMOUTH وهو ميناء عسكري بريطاني يغطي ما قدره 247400هـ.
- بَاليس: مسرح باليس. ويستعمل الرحالة للمسرح الكلمة الأجنبية "طيطر" (الفرنسية) أحيانا، و"طيطروس" (الإسبانية) أحيانا أخرى. ويقصد المسرح الموجود بـ: Place of westminster

- جيمس بلس فندق سان جيمس أو ساحة سان جيمس : ST JAMES PALACE

- الـ (دِكْس) DECK أو MOLE : رصيف الميناء

- جمسط سكوير ساحة سكوير : .JAMES SQUARE

- دار البلسية: مركز الشرطة polesia بالإسبانية

- دي ألبرط : .DEALPART

- طْيَطر : THEATRE : أي مسرح أحيانا، وقد يرادف ـ أحيانا أخريـ السيرك. انظر رحلة "الصفار" إلى فرنسا في القرن 19. ومن الملاحظ أن "الغسال" قد زار العديد من أماكن الفرجة مثل مسرح الإمبراطورية EMPIRE، ومسرح باليس. كما هو وارد في الرحلة.

- لندرة: لندن، اللندرة/ الأَنْدَرة

فهرس الألفاظ الأجنبية

- أسطيشن: .STATION محطة (إنجليزية) سواء تعلق الأمر بالمحطات البرية أو البحرية.

- إبرة: أي العملة الإنجليزية السائدة المتعلقة بالجنيه الاسترليني. فـ(إبرة) تحريف لـ LIVRE أي جنيه أو لعلها تحريف لـ Libra Esterlina الإسبانية أي: ليبرة شرعية والإنجليز يطلقون على عملتهم بَاوْنْد .pound انظر: محمد الفاسي: الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية.

- أكريت بريطن: بريطانيا العظمى.

- برنيط: قبعة أو برنيطة.

- بوجي: أي الرافعة الحديدية التي تتحرك "BOUGes" والمقصود بها La GRUE أي الرافعة التي تتحرك، آليا، لحمل الأثقال.

- بزيطة: تحريف لـ VISITE أي زيارة (إسبانية) .VISITA

- بابورات: القطارات والسفن (انظر فهرست الألفاظ العامية).
- بريمة: تحريف (PRIMERA): أي المقاعد الموجودة بالمرتبة الأولى التي لا يركبها إلا الأغنياء.
- باكبط: (BAQUBOUT) الإنجليزية أي السفينة.
- برنس ذي غال: أمير PRINCE Degal الغال.
- بنيونس: تحريف ل"BANOS" ولعلها منطوقة بالإسبانية. وتعني حوض الاغتسال في الحمامات الخصوصية بالمنازل.
- جابون: اليابانيون تحريف (LES JAPONAIS).
- طيطروس أو طيطر: تحريف لكلمة TEATRO أي المسرح. وفي النص استعملت الكلمة معادلا للسيرك والرحالون المغاربة يستعملون هذه الكلمة في رحلاتهم، كلمة "تْيَاتْرو". انظر رحلة الصّفّار: سوزان ميلان شارك في التحقيق والتعريب
- دار سكة المخزن: دار ضرب السكة التابعة للدولة.
- دار لبليسية: مقر الشرطة (POLICIA).
- الـ(دكس) DEKS: رصيف الميناء، تحريف للكلمة الإنجليزية .MoLE
- طون: المقصود به الطن المعيار الوزني الشائع. ومد الواو راجع إلى لهجة أهل الشمال كما سبقت الإشارة.
- الـ(كريطات): ج كريطة: العربات الصغيرة التي تستعمل في جر المدافع وهي، عادةً تكون ذات عجلتين تسهيلاً لحمل الأثقال .GARRETA
- الـ(كبيطان): رتبة عسكرية تعادل CAPITAN ـ بالإسبانية القبطان.
- الـ(كُوجِيسْ): مستوحاة من الكلمة الإسبانية COCHE أي العربة التي تجرها الخيول.
- الـ "كور" : ج، كُورَة: أي القُنْبُلة (قنابل المدافع).

- يَرْضَةْ: YARD أي وحدة قياسية إنجليزية تعادل44، 91 سنتم، أو 3 أقدام.

فهرس الكلمات العامية المغربية والمُمَغْرَبَة

- بَرْكِيَةٌ: من اللون البركي أي اللون الأسمر وفي النص يتعلق الأمر بلون مفضل في الخيول المغربية خاصة والعربية عامة.

- بَلْقِيَةٌ: من اللون الأبلق أي الأبيض. وهي كلمة فصيحة. في النص ارتبط هذا اللون بالخيول الجيدة أيضا.

- دَهْمِيَةٌ: النون الأدهم المحبب في الخيول و هو اللون الأسود

- بوط: استيحاء من الكلمة الأجنبية BOTTE التي وظفها الرحالة لتقريب عملية صهر المعادن التي تمر بهذا الـ "بوط" أي القناة المخصصة لذلك.

- بَابُور: VOPEUR أي البخار المستعمل كوقود للسفن والقطارات. ومن ثم أصبح بابور البر يرادف القطار، وبابور البحر يرادف السفينة وقد تكون من الإسبانية أيضاً.

- دربوز: حاجز حديدي على طول امتداد الدرج و هو المعروف بـ (الدرابزيين).

- جْنَان: حديقة أو بستان من الجنان أو الجنات البديعة.

- حلقة: أي شكل دائري يتوسط سقوف المنازل التقليدية تسمح بدخول الضوء.

- حُوْمَة: ج، حَوْمَاتُ أي حارات وأزقة ودروب.

- حْيَاض: تحريف ل"أحواض". والمقصود بذلك، في النص، أوراش صناعة السفن وإصلاحها.

- طَرْحَة: أي: TARDA بالإسبانية (بطاقة).

- كَرْكُدَانْ: الوعل.

- كَسْوَة: تحريف لـ "كسوة" أي لباس.
- كَابُوسْ: ج، كوابيس أي المسدسات.
- مِيضَاتْ: ج. ميضأة أي دورة المياه أو المرحاض العمومي.
- مقَيّدة: أي مقيدة من التقيد. أو التسجيل فهي كلمة فصيحة الأصل ما عدا تحريف النطق.
- الـ(متعلمين) أي عمال الميناء أو المركب من بحارة وغيرهم. أو قد تطلق على صبيان الحرفيين أو الصُنّاع.
- مون: أحجار الميناء المسهلة لدخول السفن أي الرصيف: .MOLE
- موبَّر: ثوب وبري رفيع بألوان زاهية ـ خاصة اللون الأصفر ـ يستخدم في الأفرشة الرفيعة.
- مَقْضَيات: أي حاجيات تقضى.
- كنابيس: من الكلمة الأجنبية CANAPE أي الأرائك (إسبانية) بالجمع. أو إيطالية الأصل
- الـ(كميدور) CAMEDOR: قاعة الأكل.
- كمبانية: تحريف لكلمة CAMPANY أي الشركة أو المؤسسة التجارية أو الاقتصادية.
- مجورت: رتبة عسكرية بالنطق الإنجليزي .MAJOR
- الـ(مكينة): من MAQUINA أي الآلة بصفة عامة. وفي النص استخدمت بمعنى المصعد (إسبانية).
- مسطر: نطق إنجليزي للسيد (.MR (MisTER

الـ(ميرانط) ADMIRAL بالإنجليزية أمير البحر يستعمل بعض الرّحالة مصطلح: ميرال البحر، كمعادل لـ AmiRa ذات المرجعية الفرنسية.

الـ(سكونضة): تحريف لكلمة SECONDE أي المرتبة الثانية أو المقاعد

التي تأتي بعد مقاعد الدرجة الأولى.

(سير) جيمس: من ألقاب السيادة مثل الذوق واللورد..الخ.

- سطوار: أي STORE مخزن.

- فبريكة: تحريف للكلمة FABRICA التي تعني معمل أو مصنع (إسبانية).

- فسيال (فسيالات): رتبة عسكرية محرفة عن الكلمة الأجنبية OFICIAL أي ضابط (إسبانية).

- رويال صفرن: .ROYAL SOVEREIGN

- القوة الكازية: القوة الغازية.

- القنصوات: القناصل: CONSUL أو ممثلو الدول الأجنبية وتجمع في رحلات عديدة على أقناص ومفردها: "قُنْصو" كما هو سائد في اللهجة المغربية.

- الربيل الأحمر: حجر كريم أي .RUBIS

- مَقْبِيٌّ: أي مغطى السقف أو مسقوف مثل القبة (دارجية).

- سبنية: منديل حريري تقليدي، وعادة يكون مزركش الألوان.و يستعمل لأغراض كثيرة. (دارجي)

- سراجم: ج. سرجم أي نافذة. وقد ينطق في بعض مناطق المغرب: سرجب/ سراجب أو شرجم/ شراجم. (دارجي)

- فروش: الفرش، والمقصود بها في النص مقصورات علية القوم في القطارات.

- الصقلي: الخيوط الحريرية المذهبة التي توشى بها الأثواب الرفيعة. وتنسب عادة هذه الخيوط إلى صقلية ودورها التجاري المعروف منذ أن فتحها المسلمون.

- صاير: النفقات والمصاريف وفي الاقتصاد المغربي يوجد: أمين الصَّاير،

أي ما يُصْرَفُ من مال على المنزل أو الشركات والمرافق العامة.

- صيادة: حفلات الصيد.
- قشلة: ثكنة عسكرية.
- رياضات: رياض وحدائق.
- شلية: ج. شليات: الكراسي والمقاعد من SiLLA (إسبانية الأصل).
- خَاصَّاتْ: ج. خْصَّة: نافورة ونافورات مائية. والأصل في اللسان الدارج: خصَّات (بدون ألف) غير أن لهجة أهل الشمال المغربي تطغى عليها الإمالة في حروف العلة أو المد عامة وتكون عادة من الرخام أو المرمر خاصة في البيوتات الغنيّة.

ملحق حول الجائزة

جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي 2003

جائزة سنوية تمنحها "دار السويدي" لأفضل الأعمال المحققة في أدب الرحلة والمؤلفات الجغرافية العربية والإسلامية قديماً، ووسيطاً، وحديثاً (من نهايات القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين) ولأفضل كتاب جديد في أدب الرحلة المعاصرة

في إطار مشروع "ارتياد الآفاق" الذي أطلقته "دار السويدي" من أبو ظبي وبيروت قبل عامين تعلن الدار، وهي مؤسسة ثقافية عربية غير ربحية، عن نتائج (جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي) التي تأسست مطلع عام 2003 وتمنح سنوياً لأفضل الأعمال المحققة في أدب الرحلة، وجاءت انسجاماً مع طموحات الدار في إحياء الاهتمام بالأدب الجغرافي.

فاز بالجائزة في دورتها الأولى سنة 2003 ثلاثة من المحققين المغاربة هم د. محمد بوكبوط، ود. سعيد فاضلي، ود. عبد الرحيم مودّن، والشاعر العماني محمد الحارثي.

وقد اثبتت الجائزة في دورتها الأولى التوقعات المتفائلة لمشروع تنويري عربي يستهدف إحياء الاهتمام بالأدب الجغرافي من خلال تحقيق المخطوطات العربية والإسلامية التي تنتمي إلى أدب الرحلة والأدب الجغرافي بصورة عامة، من جهة، وإلى تشجيع الأدباء والكتاب العرب على تدوين يومياتهم في السفر. فضلاً عن ترجمة التراث الإنساني في أدب الرحلة الموضوع في اللغات الأخرى.

تهدف الجائزة إلى تشجيع أعمال التحقيق والتأليف والبحث في هذا

الميدان الخطير والمهمل، وإيماناً من "دار السويدي" بضرورة الإسهام في إرساء تقاليد حرّة في منح الجوائز، وتكريساً لعرف رمزي في تقدير العطاء الفكري، بما يؤدي بالضرورة إلى نبش المخبوء والمجهول من المخطوطات العربية والإسلامية الموجود في كنف المكتبات العربية والعالمية، وإخراجه إلى النور، وبالتالي إضاءة الزوايا الظليلة في الثقافة العربية عبر علاقتها بالمكان، والسفر فيه، والكشف عن نظرة العربي إلى الذات والآخر، من خلال أدب الرحلة بصفته من بين أبرز حقول الكتابة في التراث العربي، لم ينل اهتماماً يتناسب والأهمية المعطاة له في مختلف الثقافات.

أهمية هذا المشروع تتزايد في ظل التطورات الدراماتيكية التي يشهدها العالم، وتنعكس سلباً على علاقة العرب والمسلمين بالجغرافيات والثقافات الأخرى، فالأدب الجغرافي العربي (وضمناً الإثنوغرافيا العربية) من شأنه أن يكشف عن طبيعة النظرة والأفكار التي كوّنها العرب والمسلمون عن "الآخر" في مختلف الجغرافيات التي ارتادها رحالتهم وجغرافيوهم ودوّنوا انطباعاتهم عنها، وعن التصورات الخاصة بالعرب عن الحضارة الإنسانية والاختلاف الحضاري .

لجنة التحكيم

تشكلت لجنة التحكيم من 5 أعضاء هم د. شعيب حليفي (المغرب)، د. محمد لطفي اليوسفي (تونس)، الشاعر علي كنعان (سورية) د. شاكر لعيبي (العراق)، د. عبد النبي ذاكر (المغرب). وبلغ عدد المخطوطات المشاركة 22 مخطوطاً جاءت من 7 بلدان عربية، توزعت على الرحلة المعاصرة بصورة أكبر وعلى المخطوطات المحققة بصورة أقل. وقد جرت تصفية أولى تم بموجبها استبعاد الأعمال التي لم تستجب للشروط العلمية المنصوص عنها بالنسبة إلى التحقيق، واستبعد ما غاب عنه المستوى بالنسبة إلى الجائزة التي تمنحها الدار للأعمال المعاصرة. وقد نزعت أسماء المشاركين من المخطوطات قبل تسليمها لأعضاء لجنة التحكيم لدواعي السريّة وسلامة الأداء، وجاءت النتائج على النحو التالي:

المخطوطات الفائزة

- **مخطوطة لا تقل صفحاتها الأصلية عن 200 صفحة:**

فاز بها مخطوط رحلة "إحراز المعلى في حج بيت الله الحرام" 1785 لمحمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي. قام بالتحقيق د. محمد بوكبوط (المغرب)

- **مخطوطة لا تقل صفحاتها الأصلية عن 150 صفحة:**

فاز بها مخطوط "**الرحلة الأوروبية**" 1919 لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي. قام بتحقيق المخطوط د. سعيد فاضلي (المغرب).

- **مخطوطة لا تزيد صفحاتها الأصلية عن 100 صفحة:**

وفاز بها مخطوط "**الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الأنجليزية**" 1902 للحسن بن محمد الغسال. قام بالتحقيق د. عبد الرحيم مودن (المغرب).

جائزة الرحلة المعاصرة

أما جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصرة، وهي جائزة تمنحها "دار السويدي" عن أفضل كتاب في أدب الرحلة يضعه كاتب معاصر فقد فاز بها الشاعر العماني محمد الحارثي عن كتابه "**عين وجناح- رحلات في الجزر العذراء، زنجبار، تايلاند، فييتنام، الأندلس، والربع الخالي**" .

توزيع الجوائز في المغرب

صدرت الرحلات الثلاث في سلسلة "ارتياد الآفاق" والرحلة الرابعة في سلسلة "سندباد الجديد"

ومن المنتظر أن توزع الجوائز في احتفال يقام في الرباط خلال ندوة "الرحالة العرب والمسلمون: اكتشاف الآخر-المغرب منطلقاً وموئلاً " التي ستنعقد في أيام 14-15-16 نوفمبر المقبل ويشرف عليها كل من "وزارة

الثقافة المغربية" والمشروع الجغرافي العربي "ارتياد الآفاق" في أبو ظبي، ويشارك في أعمالها عدد كبير من الأكاديميين والدارسين في حقل الأدب الجغرافي وتحمل هذه الدورة التأسيسية للندوة اسم دورة ابن بطوطة. وتأتي الندوة في إطار احتفالات الرباط عاصمة الثقافة العربية. وستسلم الجوائز بحضور الفائزين.

لم يكن مفاجئاً لـ"دار السويدي" ومشروع "ارتياد الآفاق" أن يأتي فوز المخطوطات الثلاث بالجائزة من المغرب، فالمغرب أخرج ابن بطوطة والمغاربة الحاليون هم من سلالة هذا الرحالة العظيم. وفي الأساس يمكن رد الأمر إلى النشاط الملحوظ للدارسين والأكاديميين المغاربة في أقسام التاريخ في الجامعات المختلفة في المغرب، وأيضاً إلى تمتع هؤلاء بوعي استثنائي للأهمية التي يشغلها حقل الأدب الجغرافي. فضلاً عن تبنيهم مناهج حديثة في قراءة النصوص والظواهر التي تتكشف عنها.

قبول الطلبات للدورة الثانية للجائزة

يفتح باب قبول الطلبات للمشاركة في الجائزة بدءاً من شهر أيار / مايو من كل عام، ويستمر مفتوحا لـ 8 أشهر، ويقفل مع مطلع كانون الثاني/ يناير من كل عام. ومن شروط الاشتراك في الجائزة:

- أن يكون النص محققاً وفق قواعد التحقيق العلمية المعتمدة في الأوساط الأكاديمية.
- تقبل المخطوطات التي هي رسائل أكاديمية لنيل درجات علمية.
- من حق الجهة المانحة للجائزة إجراء التعديلات الفنية التي تراها مناسبة على النص الفائز ليتوافق وصيغة النشر المعتمدة من الدار بالاتفاق مع المؤلف أو المحقق.
- أن يرسل النص في نسخة ورقية واحدة مرفقة بنسخة إلكترونية.

تستقبل النصوص على عنوان "دار السويدي" في أبو ظبي ص.ب 44480 أو على البريد الإلكتروني:

وتقبل طلبات المشاركة حتى موعد أقصاه 3/1 من كل عام.

جائزة للدراسات

وقد قررت "دار السويدي" استحداث جائزة خامسة تمنح سنوياً للدراسات الموضوعة في حقل الأدب الجغرافي.

قطوف من آراء لجنة التحكيم

في المخطوطات الثلاث الفائزة والصادرة في هذه السلسلة

*** رحلة المكناسي 1785**

إحراز المعلى والرقيب

في الحج إلى بيت الله الحرام

وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب

محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي

تحقيق د. محمد بوكبوط

*** د. شعيب حليفي**

عن الرحلة

العناصر التي تبرز أهمية وقيمة هذا النص متعددة لكون الفترة التاريخية وخط سير الرحلة عاملين أساسيين وحاسمين، إذا ما أضفنا عنصرا ثالثا يتمثل في مؤلف الرحلة ابن عثمان المكناسي، السفير الأديب الذي يملك رصيدا ثقافيا هاما وحنكة ديبلوماسية.

عن التحقيق

المحقق كان صائبا في مرحلتين: تحقيق النص وضبطه ثم التقديم له وبناء جسور دقيقة ومتينة لفهمه والتواصل معه. والمقدمة التي مهدت للتحقيق كانت جيدة تتم عن دراية شاملة.

* د. محمد علي اليوسفي

عن الرحلة:

يستمد هذا العمل قيمته الفكرية والأدبية والتاريخية من كون المؤلف لم يكتف بوصف الأماكن والأمصار التي زارها بل وسع دائرة الجنس الأدبي الذي يكتب فيه أي الرحلة. فهي سياحة في المكان والفكر معاً. فقد ضم النص أراء وتأملات فكرية وأدبية.

عن التحقيق

تمكن المحقق في المقدمة التي وضعها من الإحاطة بتغريبة الكتاب وتغريبة منتجه إذ كشف عن الغبن الذي تعرض له طيلة أحقاب ظل الكتاب خلالها يقتبس إلى النهب دون ذكر له أو لمؤلفه. في حين ينهض هذا التحقيق على دقة علمية واضحة، وحرص على التمسك بالضوابط الأكاديمية.

إن إخراج كتاب "كتاب إحراز المعلى" من العتمة إلى ضوء النهار من شأنه أن يثري المكتبة العربية ويرد الاعتبار للنص ومنتجه. وهذا العمل يستحق فعلا أن ينال الجائزة التي رشح لها عن جدارة واقتدار.

* أ. علي كنعان

عن الرحلة

عمل جدير بنيل الجائزة لعدة أسباب، منها: أنها من كنوز الخزائن المغربية المكنونة في مخطوطات لم تنشر من قبل، وهي ترصد مرحلة هامة من تاريخ الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر خلال الصراع العثماني الروسي.

عن التحقيق

يبدو جهد المحقق جليا وكبيرا في دراسة النص وفحصه، بنسختيه (أ) و(ب)، وتعليق حواشيه وإلقاء مزيد من الضوء على حياة المؤلف ومكانته

العلمية والدبلوماسية (. . .) وتقصّي مختلف الإشارات والدراسات القديمة والحديثة التي تناولت هذا النص كليا أو جزئيا.

* د. شاكر لعيبي

عن الرحلة

عنصران قويان يمنحان هذه الرحلة قيمتها الأدبية والأرشيفية، الأول: يتعلق بالمساهمة السياسية الكبيرة لمؤلفها في صنع الأحداث في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. والثاني: الثقافة العالية للمصنّف ودقة ملاحظاته ورصوداته.

عن التحقيق

سعى المحقق بقدر كبير من المهارة والدقة والمنهجية في إخراج العمل بأحسن الهيئات الممكنة. فقد نقّب وتابع أسماء الأعلام الواردة في نص المخطوطة ووثقها وعاود التحقّق منها، كما عاود التأكّد من الكلمات غير العربية التي يستخدمها المؤلف مما كان شائعاً في عصره بتأثير الهيمنة التركية كالقشلة والأكراك وأركلة.

* د. عبد النبي ذاكر

عن الرحلة

قيمة هذه المخطوطة تكمن في كونها رحلة شاملة إلى حد ما، جمعت بين الرحلة الحجية والزيارية والسفارية (. . .) صاحب النص دبلوماسي مغربي محنك ينتمي لأواخر القرن الثامن عشر، راسخ القدم في أدب الرحلة يشهد لذلك تصنيفه لرحلتين أخريين.

عن التحقيق

تحقيق علمي أكاديمي رصين، نهض على التعريف بأهمية المخطوط،

وقيمة صاحبه، وسرد منهج التحقيق المتمثل في المقابلة بين نسختين مخطوطتين.

*** الرحلة الأوروبية 1919**

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي

حققها وقدّم لها د. سعيد الفاضلي

* د. شعيب حليفي

عن الرحلة

هذا النص الرحلي شهادة متعددة الأوجه والقراءات عن طموح العالم إلى مستقبل بدون حروب، واستمرار ارتباط أوربا بمستعمراتها. من جانب آخر تبرز الرحلة بجلاء وجهة نظر صريحة من طرف مؤلفها الحجوي، المثقف السياسي المتفتح، ووعيه الداعي إلى الاقتداء بحداثة الغرب.

عن التحقيق

جيد على كافة المستويات ويحترم قواعد التحقيق خصوصا وأنه معزز بالهوامش الشارحة والتعليقات المفيدة والمفسرة فضلا عن التقديم والفهارس المدققة.

* د. محمد لطفي اليوسفي

عن الرحلة

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى كون مؤلفه مغربي من عملاء الاستعمار الفرنسي. حتى أن المغاربة امتنعوا عن الصلاة في المكان الذي دفن فيه. الكتاب يمثل من هذا المنظور وثيقة فكرية وتاريخية هامة. إنه يتنزل في صميم ما يمكن أن ننعته بالخطاب الاستشراقي العربي الذي يرى في الغرب دار السعادة القصوى ويحرص على استنساخ القيم الغربية والحضارة الغربية وجعل الشعوب العربية تخجل بانتمائها الحضاري فتسعى إلى تبديله.

عن التحقيق

مقدمة التحقيق علمية على نحو صارم ثمة ضبط علمي للهوامش فهي حافلة بما يجعل منها دليلا مهما ييسر القراءة على القارئ.

عمل جدير بالتقدير وبنيل جائزة عربية.

*أ. علي كنعان

عن الرحلة

أهمية هذه الرحلة نابعة من أهمية المرحلة التاريخية التي ترصدها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فضلا عن المكانة السياسية والأدبية لكاتبها وهاجسه التنويري.

عن التحقيق

المحقق درس النص بأناة بالغة وعلق حواشيه وأوضح خفاياه بشروح مستفيضة وعرف بالأعلام الجغرافية والتاريخية، فأضفى عمله على الرحلة أهمية كبيرة.

*د. شاكر لعيبي

عن الرحلة

تقدّم هذه الرحلة مسحاً لأجزاء كبيرة من فرنسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى. تقدم الرحلة بحثاً عن أسئلة تنويرية ونهضوية ملتبسة، ويتقدّم الحجوي لهذا السبب بوصفه حالة رمزية لحيرة العالم العربي الإسلامي الخاضع للاستعمار. هذه الرحلة تضيء تلك المنطقة الحرجة بين استشرافات المثقفين المغاربة لمعارف اللحظة وبين طموحاتهم، بل مصائرهم الفردية.

عن التحقيق

التحقيق هو من الدقة بمكان، ويتبع المنهج العلمي في تحقيق

المخطوطات، مصحّحاً الكثير من هفوات وعثرات التحقيق الأول، مُضيفاً إليها عناصر جديدة من أجل إضاءة النص بنور جديد والتعريف بمصادر مؤلفه الأدبية والثقافية والمعرفية.

* د. عبد النبي ذاكر

عن الرحلة

قيمة هذه الرحلة في كون صاحبها مثقف من عيار كبير، له نصوص رحلية أخرى. فالرحلة في حد ذاتها رؤية فقيه متنور للآخر في مطالع القرن العشرين، يتمتع بدقة الملاحظة وحصافة الرأي وحسن التفهم، دون أن يثنيه عن انتقاد الذات والسخرية من تخلفها، في لغة هادئة مسترسلة، وأسلوب لا تصنع فيه.

عن التحقيق

تتجسد قيمة هذا التحقيق في إلقاء الضوء على شخصية الحجوي الثعالبي المثقف والسياسي. ويتميز التحقيق، علاوة على التقديم الموسع والتعليق المستفيض ولائحة المصادر والمراجع، بسرد لائحة شاملة للفهارس.

*** الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902**

الحسن بن محمد الغسال الطنجي

حققها وقدّم لها د. عبد الرحيم مودّن

* د. شعيب حليفي

عن الرحلة

تجيء قيمة الرحلة لتكشف عن وجهة نظر مغربية/عربية تجاه المجتمع الأوروبي المتمثل في إنجلترا، باعتباره الآخر المتقدم القوي المالك لأدوات التكنولوجيا والتنمية والباحث عن مستعمرات وأسواق.

عن التحقيق

استطاع المحقق عبر مقدمة مفصلة تقديم أفكار خاصة بنص الحسن الغسال من خلال إضاءته من جوانب شتى تضع النص الرحلي [المحقق] ومؤلفه في السياق التاريخي والسياسي والفكري الذي وجد فيه. ويعتبر هذا التحقيق متقدما على نشر سابق للنص نفسه سنة 1979 بإشراف الأستاذ عبد الهادي التازي.

* د. محمد لطفي اليوسفي

عن الرحلة

مخطوط يجسد ما يمكن أن ننعته بـ"أدب الرحلة المضاد" فالمخطوط ينبني على مقاومة التمثلات الاستشراقية التي تعج بها كتب الرحالة الغربيين الذين زاروا الشرق وكتبوا عنه نصوصا تبتني صورة دونية للشرق وناسه وحضارته عبر تكريس متخيلات مخترعة.

عن التحقيق

حرص المحقق في طبعته الكتاب على تبيان ظروف كتابة الغسال لمؤلفه. كما حرص أيضا على تنزيل الكتاب في إطار التاريخ الثقافي المغربي والعالمي. وتبين منطلقات الغسال في مؤلفه مبرزاً مميزات الكتاب داخل أدب الرحلة في الثقافة العربية.

الرحلة تجمع إلى السيرة الذاتية بعدا توثيقا واضحا.

* أ. علي كنعان

عن الرحلة:

هذه الرحلة، على صغر حجمها، تكشف الهاجس الحضاري المستنير لمؤلفها وهو يشاهد مظاهر التقدم في مجتمع أجنبي منظم يحتفي بالعلم

والعمل معا، بينما ما تزال البلاد العربية ترزح تحت ظلمات الجهل والأمية والتناحر.

عن التحقيق:

الجهد العلمي واضح في تحقيق النص وتعليق حواشيه، ويتجلى ذلك بدءا من المقدمة المستفيضة التي أشارت إلى إشكالية النهضة بين "الأنا" و "الآخر" حتى في مسألة اللغة وقدرتها على التعبير، كما أضاءت جوانب متعددة من حياة الكاتب وأعماله.

* د. شاكر لعيبي

عن الرحلة:

على الرغم من قصر هذه الرحلة فإنها من المتعة بمكان، لأنها مهمومة بمشكلة التحديث الذي كان يجابهه العالم العربي الإسلامي، ولأنها مكتوبة بروح من التحرر الذي يهجر قليلا أو كثيرا فكرة (دار الكفر)، ولأنها كذلك تُظهر حياديةً نسبيةً للغسّال مؤلفها.

هذه الرحلة تقدّم فكرة قيمة عن الإشكالية الفعلية لبدايات الترجمة في المغرب العربي.

عن التحقيق:

جاء التحقيق موفياً بالغرض وفق قواعد علمية دقيقة، وتمكنت المقدمة من الإحاطة بالرحالة ورحلته على نحو كاشف.

* د. عبد النبي ذاكر

عن الرحلة:

على الرغم من صغر حجم هذه الرحلة، إلا أنها تعطينا صورة متفتحة عن لقاء عقل عربي إسلامي متنور بمعالم حضارة غربية [إنجليزية أساسا] في البدايات الأولى من القرن العشرين.

عن التحقيق :

قيمة التحقيق تتجلى أساسا في التحقيق اللغوي العامي والفصيح والمعرب من الكلمات الأجنبية. وفي التأطير التاريخي للمتن الرحلي المحقق وتحليله والتعليق عليه ومقارنته بنصوص سابقة (...) ثم تنوير أعلام الأشخاص والأماكن.

المحتويات